2272
.66107
.364

2272.66107.364
Mu'awwad
Min al-shi'r al-Yunani
alhadith

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE
OCT 1 2

Princeton University Library
32101 072570078

وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري
مديرية التأليف والترجمة

من الشعر اليوناني الحديث

ترجمة
المطران الياس معوض

سلسلة الأدب الغربي
١

ملتزم
الطبع والنشر
دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر
١٩٦٠

Murawwad, Ilyas

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

من الشعر اليوناني الحديث

Min al-shi'r al-Yunānī

ترجمة

المطران الياس معوض

نشر باشراف
وزارة الثقافة والارشاد القومي
في الاقليم السوري

حقوق الترجمة والطبع والنشر والاقتباس
محفوظة
لدار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر
دمشق - سورية
١٩٦٠

تعهد
المؤسسة الثقافية
للنشر والتوزيع
بدمشق

الناشرون في البلاد العربية

دار اليقظة العربية	: دمشق ، شارع المتنبي	هاتف ١٢٢٦٤
مؤسسة الخانجي	: القاهرة ، شارع عبدالعزيز	هاتف ٤٣١٤٨
مكتبة المثنى	: بغداد ، شارع المتنبي	هاتف ٨٣٥٨٨
المكتبة الشرقية	: بيروت ، شارع المعرض	هاتف ٣٣٢٣٤

تمهيد

ان الشاعر اليوناني اشيل ، بمأساته الخالدة ، بروميثيوس ، رسم حياة الشاعر ، وصورها كما يجب ان تكون . لقد سرق بروميثيوس النور من ايفستوس اله النار ، لينير لمن في الظلمة يتسكعون ويحررهم من النير الذي يحملون . لقد سرق بروميثيوس النور ، فوقع غضب اله الآلهة عليه ، وبأمر منه قبض عليه اله النار وأعوانه وصلبوه فوق قمة من قمم جبال القوقاس وسلطوا على كبده نسرا شرسا ، وكان النسر ينقض على الكبد يعمل فيها تقطيعا وتمزيقا ، وكانت الكبد تتجدد كلما ازدادت شراسة النسر وحشية . ان كبد المصلوب كانت تتحدى ضراوة الطائر الكاسر وتسخر من ارادة جوبيتر . ان بروميثيوس هو صورة للشاعر الحقيقي . والشاعر يزداد اشعاعا وتألقا وسط العذاب والآلام . أو بالاحرى لايستطيع ان يجرد من العذاب والآلام المتصلة بالابداع . ولا يشتعل سراج الشاعر الا اذا كان الدم زيته والكبد فتيله والدموع رماده . وتخشع الوحشية أمام الالم الصابر لغاية مقدسة ، كالحرية وتسجد امام المحبة المضحى بها لهدف نبيل . ان النسر بوحشيته ، يمثل كل ما فينا من عوالم مظلمة ، يمثل الباطل المنازع ، والظلمة اليائسة والبشاعة الحاقدة ، والعبودية المتمردة ، يرمز الى جلجلة الحق ، ولا حق بدون ألم ، والى الاستنارة الظافرة .. ولا استنارة بدون عذاب ، والى الحرية .. ولاحريةبدون تمزيق وتقطيع ، والى الانتاج الواعي ، ولا انتاج بدون معرفة ، حتى اذا انقض النسر بهرت عيناه من وهج النار والنور ، وتقلمت مخالبه بقواطع الحق ، وغرقت جوانحه في لجة الغيب ، وغاص في جو عميق من الاناشيد الهازجة تمجيدا للحرية المنتصرة على ظلام العبودية . لقد انتصر بروميثيوس وفاز بالنور كما فاز باكليل الشهادة في سبيل انارة الانسانية .

12-9-60 م. Ministère de la Culture, Damas

2272
.66107
.364

2272
.66103
364

لقد قتل هيرقليس النسر . وهيرقليس هو القوة الخيرة فينا ، قوة النور المنبلج من أعماقنا وسط الدياجير العاصفة ، قوة الحق الصامد وسط الزوابع والزعازع ، ليبقى الانسان عاريا الا من لباس النور ، ووحيداً الا من حريته .

ان الشاعر اشيل بمأساته هذه رسم طريق الشاعر وما ينتظره ، فهو سارق النور ، ولا شعر بدون هذا النور . وهو الضحية الدائمة ، ولا وزن للشاعر اذا لم يخضب بدماء التضحية والحق ، ولا معنى للشعر اذا كان لا يبعث في الارواح والاجساد الفانية معاني الحرية والحياة الطليقة، ولا شعر اذا كانت الحرية مصلوبة ومقيدة بقيود المكان والزمان ، ولا قوة للشعر اذا لم يكن تعبيراً عميقا عن دقيق خلجاتنا الوجدانية،والوثبةالخيالية التي تحترق بالنار لتثير غيرها . ولا نغم للشعر اذا كان لا يرقص فوق جناح الخيال الواعي ، ويحلم في الغمام المشتعل بلهيب الرؤى ليفتح طريق الآفاق البعيدة امام الانسانية المخلوقة للخير والمعرفة . والشعراء كانوا ولا يزالون سباقين في مضمار التجسيد الفني للمثل الخالدة .

والتجسيد عند الشعراء تجسيد يتناول اسرار الوجود ، تنساب فيه الحقائق انسياب الجدول في المروج الخضراء الضاحكة بالندى ، وتموج موج النسيم فوق شفة الموجة السكرى . والشعراء سباقون الى التقاط الحقائق لان الحقائق تأتيهم بالحدس الداخلي وتحل في نفوسهم المركبة على مرهف الشعور حلولا . والحقائق المتكشفة لهم قريبة من كشف النبوة ، لذلك كانوا قبل الفلاسفة في رسالتهم ، قريبين من الانبياء لانهم يعتمدون على الاشراق الداخلي في اظهار الحقائق الغامضة على العقل البشري . وكانوا قبلهم في ادراك انسانية الانسان وفي تصوير عالمه المكتظ بغريب الشعور لانهم يرون الانسان كما هو بمداه البعيد والقريب وبما فيه من تعرجات نفسية ، ويغوصون على آماله وأمانيهوأحزانهفيستخلصون ذاته من أعماقها ويجلونه لوحة يختال فيها العقل ، ويخفق القلب ، ويميس الخيال .

لقد رسم أشيل هذه اللوحة النفسية للشاعر ، فجاءت مصداقا لحياة كل شاعر ادرك معنى رسالتهفالشعراء المبدعون لايعيشون لنفوسهم. انهم كبروميثيوس يصلبون ويمزقون ويطحنون ، انهم يحومون فوق القمم لا تمس اقدامهم التراب ، ولا يلامس جناحهم سحاب بل يحومون في

النور ، ويذيبون أرواحهم رحيقا يقطرونه في مصفاة الالم ، ويلقونه كما تلقي الشمس اشعتها رشاشا فيه حياة ، وبذارا فيه خلود ، ووجودا عاريا الا من الجمال ، يلقونه في تربة النفوس الظامئة الى عصير جديد يحي الموات فينا بدفئه الناعم ، ونغمه الراقص . لقد كان شعراء اليونان من هذا النوع الذي يثير فيك الاعجاب المخيف ، فتحس وانت تقرأهم ، كأنك تشرح عالمك الداخلي وتنفذ الى خفاياه ، او كأنك تقف على شاطيء الغيب لترى بحرا لجياً مترامياً . لقد عكفوا على عالم الانسان الداخلي فصوروا صراعه المضني ، الصراع بين ما يجب ان يكون ، وبين العارض الذي له قوة الوجود ، بين الاحساس الذي يشدك الى الطين ، وبين الوجد المتعالي الى السماء ، بين الاختيار في ان تكون حرا وبين الارتباط بكل ما يقودك الى العبودية . بين جزم فاصل وبين قلق الارادة . ان الحياة في نظر هؤلاء الشعراء مأساة وأي مأساة . مأساة فيها تمزيق بطولي ، تمزيق للاقنعة التي تستعيرها الاوهام لتستر نقصها وضعفها ، وبطولة تتملص من كل طين لزج يشد النفس الى الارض . وعندما تسيطر روح المأساة على أمة من الامم فانها تتفاعل في جو بطولي لبناء حضارة عميقة الجذور كعمق المأساة ذاتها . وليس اقدر من الشعراء على خلق روح الفروسية لانهم فوارس الروح يمتطون صهوات خيولهم النارية ويجرون عربة الشمس . والامة المفتقرة الى روح الفروسية هي أمة مفتقرة الى كل ما يكونها ويجعلها جديرة بالوجود والتطور الثابت لصالح البقاء الخالد . ونظرة واحدة على الحضارة اليونانية تكفي لندرك ان الشاعر كان في اساس هذه الحضارة جمالا وفنا وفكرا تلمسه كجسد حي ، وتحسه حياة تغمرك بالاشراق وتلفك بالغمام الرقيق المستحب ، حتى اذا اردت أن تقول عنه شيئا ، ختم السر شفتيك بخاتم الذهول ، لان الشاعر لا يحد والشعر عمق لا يدرك غوره فما هو نصيب الشعر اليوناني الحديث من هذا التراث الخالد ؟ هل تمكن الشعراء المعاصرون من ان يستفيدوا من تاريخهم الشعري المجيد ؟ أم انهم ناموا على المجد واستكانوا الى غرورهم بعظمة آبائهم وأجدادهم ؟ هناك من يقول بأن الامة اليونانية الحاضرة ، هي غير الامة القديمة . وان العالم الذي خلق هوميروس وسوفوكل وافريد وبيزار وأشيل هو غير العالم الذي نراه اليوم . فالشعب اليوناني الحاضر شعب يختلف تمام الاختلاف عن أمة الاسكندر وبركليس وديموستين . انه من غير طينتهم . اولئك من طينة الآلهة ، وهؤلاء من طينة البشر . أما الحقيقة فهي كما يقول اليونانيون عن انفسهم .

انهم أبناء أثينا وأبولون وعشتروت وان الدم الذي جرى في عروق سقراط وأفلاطون وأرسطو هو نفس الدم الذي يجري في عروقهم . وانهم يستطيعون اذا توافرت الظروف ان يعيدوا الى اليونان أمجادها الفكرية لان طبيعة اليوناني طبيعة تهوى عالم الفكر ، وتتعشق دنيا الفن ، وتحب ان تخلق لان ميزتها الاساسية هي هذا القلق الفكري الخلاق الساعي وراء المثل المسيرة لعالم الانسان تاريخيا وحضاريا .

ان الشعب اليوناني الذي رفع للفكر هياكل ، وأجلس آلهته على كرسي الفن ، وسيطر فكريا وحضاريا على العالم القديم والحديث ، هذا الشعب الذي مجد الحكمة ، وتغزل بالحرية ، وقدس الجمال ، ما لبث أن تخلف بعد هذا كله ، كما تخلفت كل الشعوب التي تركت تاريخها وأمجادها التاريخية الى أمجاد ليست منها وخارجة عن طبيعتها . وعندما تنلقب المفاهيم والمقاييس وتنحرف اتجاهات الانسان ويتغير مفهوم الحقيقة ، يبتدىء مرض الانهيار الفكري ، ويصاب الفكر بنوع من الدوار ، ويصبح الطعام الذي حملته اليه الحضارة غير مجد لان المعدة قد شاخت وهرمت والعصير الحي الذي يجري عبر التاريخ غير مفيد ، لان الشرايين قد جفت وتقلصت . وعندما يصاب الفكر بهذا الدوار تنشل حركة الابداع وتتجه اتجاها معاكسا لتخلق في جو يقيد فعاليتها ، ويقلص امتداداتها ، ويحبسها في سجن من النزوات والميول . وكل أمة لا تستطيع ان تحمل بعقلها وفكرها وقلبها تاريخها وحضارتها الفكرية ، لا تستطيع ان تدفع تاريخها الى الامام ، ولا يمكنها ان تحافظ على حضارتها ، وغالبا ما تقطع صلتها باصالة الفكرة التي كونت تاريخها وحضارتها فتقع في هاوية المحكوم عليهم بالعقم الفكري فيعبر فوقها التاريخ . فالامة اليونانية اصيبت بدوار فكري ، وعجزت عن هضم تاريخها الطويل المليء بالعظمة ، وصارت غريبة عن ذاتها ، والغربة عن الذات هي العجز عن التلذذ بغذاء الآلهة فسقطت فريسة عجزها وركعت على اقدام ضعفها ، وفتحت كل ابوابها ونوافذها لكل طامع غاصب . والامم كالافراد ، تركع صاغرة اذا تزعزعت الوحدة الفكرية وغزتها عوامل الانحلال الخلقي وسيطرت عليها مغريات الغرائز . وعندما تصبح المصلحة ، رابطة بين فرد وفرد ، والاهواء جامعة تجمع الاشخاص ، فان العالم كله لا الامة وحدها مقضي عليه وصار الانسان كما هو اليوم قذيفة من حديد يقذفها الانسان على نفسه ، ليدمر ما بناه بالدموع والالم والدم ، ليدمر نفسه ويسحقها تحت رحى غطرسته وكبريائه وضلاله .

لقد وقعت الامة اليونانية تحت السيطرة الرومانية وذلك عندما فقدت اصالتها الفكرية ، وتخلت عن الطابع الجوهري في كيان وحدتها ، فاستعمرها الرومان وامتصوا من ضرعها ما سمحت به امكانياتهم العقلية والفكرية ، وكونوا لنفسهم حضارة طابعها الخارجي قوة رومانية ، وجوهرها العميق يوناني وعندما يحل الاستعمار ، والاستعمار سرطان الحرية ، والفكر لا يعيش بدون الحرية ، فان الانسان يصبح كالسائمة يأكل ويشرب وينام ، لا حلم يطرق ليله ولا فكرة تدغدغ عقله ، ولا رؤى تزور خياله . لقد طالت السيطرة على اليونان وامتدت ، ثم جاء الاستعمار العثماني ، وكان اخطر استعمار عرفته بلاد اليونان لقد كان من نوع آخر . فلم يكن يحمل رسالة ولا يعرف قيمة للفكرة ولا يفهم ان للامم تاريخا . كان يرى في الفتح عظمة ، وفي السيطرة المادية الامل المنشود والغاية النهائية التي ينشدها الانسان . وعلى هذا الاساس عمل العثمانيون في كل الشعوب التي استعمروها فزرعوا الظلمة حيثما حلوا . وهكذا اصيبت الامة اليونانية بمرض الاستعمار الخبيث . وقد استعمل هذا الاستعمار وسائل النار والحديد لقتل كل خلجة من خلجات هذا الانسان الذي وزع انواره على العالم . لقد استعمل الانسان حطبا للوقود واستخدم ليكون اداة تساعد الظلمة على الانتشار . وغرق العالم اليوناني في ديجور من العماية الروحية والفكرية . لقد فقئت عيناه وصار يدب دبيب الاعمى فلا ينجو من حفرة حتى يقع في اخرى ولا يلوح له بارق امل ، حتى تنصب في وجهه دياجير . ان الاستعمار يخنقه ويشل حركته ويطوف فوق هذا الشعب يأس مقيم يطلب الحرية والحرية دونهاعقبات ، وينشد الحق والحق منه بعيد . ولكن الطبيعة البشرية لا يمكنها ان تستسلم لليأس . وكثيرا ما يكون اليأس عاملا في ميلاد جديد ودافعا لاعادة ما تهدم في صرح الامة ، فيتفاعل العمق المكبوت مع ذاته وفي هذا التفاعل يولد سيل جارف من القوى فيقلب الاوضاع رأسا على عقب لتعود الحياة من جديد فوارة بمعاني التحرر والانعتاق الذاتي المفروض على كل أمة تريد ان تحيا حياة كريمة .

ان عالم الشعور يتحرك تحت الضغط والارهاب وعالم الشعور أقوى من عالم العقل في ميدان التحرر انه الفاتح والغازي لعالم الوجود . والعقل منسق ومهذب لما يأتي به هذا العالم العميق . ان عالم الشعور يدرك الخالد قبل ان يتحرك العقل للعمل ، ويغوص في عوالم الغيب قبل ان يضع العقل حجر الزاوية في بناء صرحه . وعندما ينتهي العقل من

بنائه يقف تعبا ويرى ان عالم الشعور الوجودي قد سبقه الى ما وراء الحدود ، الى عالم البساطة حيث لا مجال للعقل الا عن طريق استحالته كليا الى ايمان يعقل ما لا يعقله العقل ويدرك ما لا يدركه الفكر . ومن اعماق الكأس الطافحة بكل معاني الايمان كثيرا ما تتصاعد الاغاني المعجونة بالشوق وكثيرا ما تنقلب كأس اليأس الى ناقوس تقرعه يد الحرية المعذبة ، فتغمر الكون موجة عارمة من الحياة الثائرة تجتاح بطاح الارض تزرع الخصب والامل وتنشر وشاحها الارجواني في منفسح الآفاق .

لقد غرقت هذه الامة في ديجور من الظلام . فصار كل ما فيها جحيما لا يطاق . وهنا ينتصب بروميثيوس بكبده الممزقة وبقلبه المثخن بالجراح، وينقض النسر بضراوته فينهش ، والكبد تتجدد وينقض فيستنسر برو ميثيوس الجديد ويتحدى ويحوم مستصرخا ، فاذا الكون في لهيب واذا النار في القلوب تندلع واذا الامة النائمة تهب مستيقظة لترى الفجر وقد انشق عن ضياء تكحله الدماء واذا بالشعراء يطوفون كعاصف الريح يهزون باروأحهم مكامن الحياة في قلوب النائمين خوفا فيثورون في وجه الانسان المستعمر الذي اراد ان يفقد الانسان شعوره بانسانيته ، لقد انتصب بروميثيوس في قلب الامة اليونانية يردد تاريخها ، وينشد اشعارها ويتلو آيات فكرها بشعر فيه نار ونور وثورة ودمار ويرسلها صيحة مدوية ترددها أودية اليونان كنشيد خالد لشعب خالد في التاريخ. ان الشعراء كانوا روح الثورة وقلبها ، وهم الذين فتحوا شرايين امتهم وادخلوا فيها دم البعث الجديد وحرروا عقلها من الخوف والجزع ، واشعروها بأنها أمة لا يمكن أن تموت . وهم الذين نفخوا الرماد عن جمرة ايمانها برسالتها الخالدة في الحياة . لقد عاد اليونانيون الى تاريخهم . انهم يحبون ان يقبضوا عليه بنواجذهم ليحرروه من ايدي الطامعين الغاصبين . ان تاريخهم اصبح ملحمة يرسلها شاعر ، وثورة يذكيها قلم وأملا يوزعه حلم مجنح . ان الحرية هي القوة الوحيدة الخالدة الكامنة في اساس كل حضارة . انها الهدف الاول والاخير لصراعنا . هذا هو المحور الاول الذي يدور عليه شعر الثورة اليونانية . وهل ينشد الانسان غير حريته ؟..

ان الشاعر الكريتي داني كريتا في ملحمته ابروتوكريتوس يصور لنا صراعا طاحنا بين ابروتوكريتوس وخصمه الذي يحاول ان يغتصب منه فتاته . لقد ولدها الندى وسكبت السماء زرقتها في عينيها ، ورقصت

أشعة الشمس فوق اجفانها ، وغرقت الرؤى وراء جبينها طيوفا تختال في شوق ، وغمر الطهر الخجول محياها ، فانحنى السمو اجلالا لروعة الجلال والمهابة . انه يصف الصراع بين الخصمين بصورة تشعرك انك تحيا هذا الصراع ، انه صراع بين الآلهة والعمالقة ، صراع تشترك فيه البروق والرعود والبراكين والزلازل والفضاء والبحر والانهار ، والاودية والجبال ، فاذا دروع المحاربين جبال بكاملها ، واذا القسي آفاق السماء والبحر ، واذا القنابل اجرام سماوية ، واذا هما يضربان الشمس باقدامهما وتتأرجح الارض ، وكأن الفارسين اعصاران عاتيان ، حتى اذا تزلزلت الجبال ، ومادت الارض اطلق ابروتوكريتوس سهمه وكان يحمل الموت لخصمه ، تفجرت الناي المبحوحة عن أغنية تحرك لها قلب اوريستا واوريستا هي بلاد الشاعر ، هذا النشيد الخالد الذي اراد المستعمرون ان يخنقوه في الحناجر ، انها الشعب اليوناني الذي ارادوه ان يبقى بعيدا عن الثدي الدفاق بالجمال ، وغريبا عن القلب الذي احتضن بالدم جسد الحرية ، وتائها في الارض التي عانقت الآلهة ، وشريدا يحن الى أثيناه ، وقد لبست غلالة من بخور تصاعدت من مجامر الآلهة . ان ابروتوكريتوس يحمل الليل اغانيه ، ويشعلها بنيران عاطفته ، ويوقعها في ناي الغدير نغما ينساب في رقة الطيف الى قلب أوريستا ، فتهب لتسمع صوت الناي المتفجر بالشوق ولتحضن المنشد فتفيض بالشوق ، وتتلمس القيود فتراها تتململ في لظى والناي في نجواها مأخوذة . وفي غمرة الليل الثائر بالنشيد ينفك قيد اوريستا فترى الفجر وقد لاح عربة محملة بالنور موشاة بدم الشهداء ، وترى الجبال وقد غمرها ضياء ورشقتها الآلهة بالبنفسج تناجي البحر الخاشع مناجاة الغزل ، ويصفق الكون وتتهلل الارض لميلاد شعب جديد عاش للحرية فوجدها عشتروتا خارجة من فوارة الدم .

ان الشعراء في بلاد اليونان الحديثة ، كانوا قوة فعالة في تقويض اسس الاستعمار وكانوا الغذاء الدائم النفس المحتاجة الى الحرارة والدفء وكانوا النشيد الذي تنشده الوالدة لطفلها والجدة لحفيدها ، وكانوا الاولمب الخالد المنتصب في وسط الصحراء ، يرسل نوره فتتحرك الآلهة ويدور الكون على ذاته ليرى الصحراء في غير مكانها ، والآلهة تعود الى النار المشبوبة في مجامرها والعمالقة تكسرت اقدامها وانحنت خجلا من عجزها الفاضح في مصارعة الحق والحرية . لقد وضع الشعراء اساس

الاستقلال في قلوبهم فسقوه وغذوه بالاكباد وجنحوه بالخيال ، وقذفوه الى القلوب شابا في عينيه نور الآلهة ، وفي يديه مواكب الاجيال الغابرة ، وفي صدره نيران ايفستوس ، وعلى شفتيه هالات العزم والحزم يرسلها امواجا هدارة ،في اسس الجبال والصخور الجاثمة بغيا وطغيانا فتنهار الجبال وتتفتت الصخور وتنبت في الارض المطهرة من جراثيم المستعمرين زهور تتفتح على شمس جديدة يضاحكها ندى الصبح الريق ، وتنسكب في كؤوسها اناشيد الفجر ، وترسل الارض الهازجة بحريتها ، نغما يتساقط من أنامل القمر فلملمته أشعة الشمس .

ان الطبيعة البشرية هي تفاعل دائم مع ذاتها وهي تحاول دائما ان تعيش مع اصالتها ، ويخطيء من يتصور انه بالامكان توجيه هذه الطبيعة توجيها يخرجها عن حقيقتها الاساسية ، فالذات الانسانية لا تتحرك الا في اتجاه معين واذا انحازت عن خطها المستقيم ، وكثيرا ما تنحاز لاسباب خارجة عن الذات ، فهذا لا يعني ان شيئا جوهريا قد تغير ، انما هناك حالات تطغى على الذات لتشل حركتها ولكن ذلك الى حين ، يعود بعدها الى هذه الطبيعة بهاؤها واشراقها فتقفز قفزة واحدة فوق الهاوية لتصل حلقتها حيث وقف بها التاريخ . فاستعباد الانسان للانسان وليد الظلمة ، وليد الفوضى الفكرية والقلق ، وليد الاتجاه الخاطيء في الوصول الى انسانية الانسان . والطغيان الذي يعمد اليه لفرض سيطرته هو هوس جنوني يوقظ في قلب المحكوم عالم الكرامة ، ويفتح عينيه على بشاعة الظلم فيتحدى الظالم بالحقد المتراكم تاريخيا . ولو عرف الظالم ان ظلمه سينقلب عليه وانه بتعسفه يسيء الى ذاته وانه باستعمار الآخرين واستعبادهم انما يجسد صورة عن نفسه المستعبدة ، لو عرف ذلك لنحر ظلمه بيده وفتك بغرائزه الجهنمية ، وعاد الى ذاته يكويها ويعذبها لينقيها من كل امراضها التي تفتك به وبالانسانية . فالشعب اليوناني الذي قاسى من الظلم ما قاساه وتحمل من الامتهان ما تحمل ، هب تحت مطارق الظلم وفي اذنيه اناشيد الحرية . يرددها شعراؤه ليحطم القيد ويقضي على كل الحواجز التي تقف دون حريته ، وفي هذا الميدان يبرز الشاعر اليوناني العظيم سوفوموس بشخصيته الفذة ، وعبقريته المرموقة وينتصب كالعملاق في وسط الثورة اليونانية ليطلق شعره قنابل يدوية تنفجر في النفوس فتلهبها بنار لا تنطفيء ، بل تزداد سعيرا كلما ترددت الاناشيد . يقول الشاعر : عرفتك أيتها الحرية من الدماء المهراقة ، من حد السيف القاطع ، من تلك العظام التي تستصرخ ابناء اليونان الى حريتهم . ان

اعماق الوجدان تثور بالدم ، وعربة الحرية ، وقد غمرتها الدمـاء ، تنطلق جارفة بتيارها المتلظي العاتي جيوش الباطل لا لتلقيهم في الهاوية بـل لتحرقهم بنار ظلمهم وتتركهم في سعيره يتعذبون .

ان سولوموس هذا الشاعر العظيم الذي حمل ثورة الاستقلال في قلبه وروحه ، وخلدها بشعره يحتل في الادب اليوناني المعاصر منزلـة الفاتح والقائد لرهط كبير من الشعراء . كـان صاحب مدرسة وكـان اول الثائرين على اللغة . لقد حطم قيودها كما حطم قيود الاستعمـار . لقد كتب للشعب بلغة الشعب . والشاعر في نظره ، يجب ان يأخذ مـادته من هذا القلب المكافح المنقى ، ليعيدها الى نفس القلب مجبولة بـالمحبة والحنان والامل والقوة والنور . والشاعر هو ابن الشعب وأخ وصديق ومرشد ، ولن يكون مفهوما ولن يفيد اذا بقي في برج اللغة العاجي ، فاللغة سبيل الى التفاهم وواسطة لنقل الفكر والمشاعر ، وهي حياة ، لانهـا تخرج منـا بعد تعب ومخاض لتندمج حياةً بالآخرين . وهكذا تصبـح الجبلة البشرية وحدة قوامها روح متفاعلة لتحقيق الوحدة الكونيـة . لقد تلاقى هذا الشاعر مع اللورد بيرون في هذا السحاب المغمور بالبطولة ووقفا كماردين من مردة الحق ، وكقوتين من قوى الروح تجمعهمـا شاعرية متساوية ونظرة الى الحرية واحدة . وسولوموس قريب من دانتي في شعره ، كما انه قريب من شعراء المأساة . فشعره يقوم على الخيـال البعيد ، ومطبوع بطابع المأساة ولا غرو فحياته كلها مأساة . ففي قصيدته « الام المجنونة » يرتفع الى مصف سوفوكل عندما يصور الام وسط المقبرة بثيابها السود تجتاز شواهد القبور ، وفي خيالها صورة ابنهـا ، وصورة الشموع التي كانت ترسل نورها فوق وجه الميت ظلالا من خيوط كاتبها . كانت تسير بين القبور وصوت الناقوس المبحوح يرن في وجدانها. انها تقبض على الظلمة بيديها ، فتهرب الظلمة ، وتفتح ذراعيها لاحتضان هذا الليل الطويل بكل ظلماته الموحشة فتفلت الظلمات . وفي يأسهـا تثور فتصرخ : الا فلتهرب هذه الظلمات ولتتبدد سريعا . اني اريد ولدي. أريد ان يغمره النور أريد أن أراه بعيدا هناك وراء الآفاق البعيدة ، وراء احمرار الفجر وراء الغمام النير . ان صوت الناقوس يحمل اليهـا صوت وحيدها . يحمله من عالم لا تدركه بحسنا . انه عالم حريتنا انه عـالم الازل الذي نكفنه بسواد عبوديتنا الكامنة فينا والمتربصة لابتلاع انوارنا. وأمام هذا الايمان القوي يشتعل الليل بالضياء ، ويزداد صوت الناقوس

عنفا حتى يصبح دويا . والام المجنونة وقد فتحت صدرها على الامل المنور ، ترفع رأسها لترى النور وقد غمر القبور ولترى ما كتبت الحرية على لوحاتها فتقرأ من هنا انبلج نور الحرية ، وفي هذه القبور ولد المجد والعظمة . وفي قصيدة ((حلم لا مبرو)) صديقه العزيز وابن بلدته والشاعر الذي كان يأنس اليه والى اغاريده نراه يرتفع الى الاوج في أحلامه وأخيلته ونرى صديقه في شعره ينتقل من دوحة ، ومن شاطيء، ومن قمة الى قمة ليرى بلاده عشتروتا خلقتها الحرية من لحمها ودمها وصارت أغرودة على لسان الشعراء الذين رأوا حلمهم بحريتهم محققا . فالشاعر يتعذب لان صديقه لم ير حرية بلاده وهو على قيد الحياة . الجحيم ، وما هو الجحيم ؟ ان عذابي أقوى من سعير ناره ، ان اعماق الروح تموج بآلامها وفيها تدوي البراكين المجنونة . وما هو الجحيم امام العبودية . انه يحرقك بناره . اما ان تنام في احضان عبوديتك ، ان تنام والقيد في يدك والغل في رجليك ، والسلاسل في جوانحك فهذا أقوى من الجحيم وأضنى .

ان الصراع في الحياة بين الموت والبقاء ، بين ان تكون وان لا تكون هو الناموس الازلي القائم وبدون هذا الصراع لا يمكن ان يبقى الانسب في الوجود ، ولا يمكن ان تقوم حضارة فالصراع غربال يسقط من حسابه الذين يعبرون الحياة عبورا . والشعوب في تطاحنها من اجل البقاء انما تقوم بعملية ازلية لاجل بقاء الانسب والدافع الى هذا هو الفكر والروح حبا بحريتها وانعتاقها . وقد فهم الشاعر سولوموس ذلك فأراد من امته ان تمر طريق الحياة لا عبورا سهلا بل من الباب الضيق . فامته مخلوقة منذ الازل للكفاح والجهاد ، ومدعوة لتقول كلمتها في مصائر الفكر . والانسان الذي يهوى الراحة ، ويعشق الاستكانة هو رجل لا يستحق ان يكون صورة لله . ولمثل هؤلاء خلق الشاعر ، لهذه الانسانية التي تنام على ذلها خوفا ، وتلجم لسانها وتعض على ثورتها باسنانها خمولا ، لمثل هذه الانسانية خلق الشاعر ليحررها من ذلها ، ويفك عقالات خوفها ويدفعها الى نار الثورة الكبرى التي لا تنطفيء ، الى استقرارها النهائي في احضان الحرية . لقد تمكن الشاعر ان يحقق ما يصبو اليه وان يرى امته ثائرة في وجه الباطل . لقد قام الشاعر برسالته كاملة وتمكن من قتل النسر .

لقد استمر الشعر في طريقه الثوري ، وعنفه المزعزع الى ان تحققت

حرية الشعب كما ارادتها الامة اليونانية ، ثم اخذ شكلا جديدا على يد الشعراء الذين نبغوا في ظل الاستقلال لقد اتخذ شكلا روحيا وصار يعالج امور الفن والفكر والروح . وهذا طبيعي لان الروح الثائرة تحتاج الى من يحول ثورتها العاطفية الى ثورة هادئة ثائرة في الاعماق ومتفاعلة مع المثل لخلق قاعدة فكرية تسير عليها الامة وتكون منطلقا لكل الاعمال البناءة في حقل الامة . وهنا يبرز الشاعر بالماس بشاعريته العظيمة الثائرة في عقل بناء ، والمحطمة لكل تماثيل الاوهام والغرور ، انه يعطي الشعر قيمة فوق كل القيم ، ويحمل الشاعر مسؤولية لا يحملها لاي انسان ((ان الشاعر لا يسير وراء الناس بل يتقدمهم . منه يجب ان تصدر الاشارة لانه الشعلة التي تشعل الاخشاب اليابسة . وكثيرا ما يبقى الشاعر غريبا عن محيطه وبعيدا عن مفاهيم الناس فيما يقوله وما يتنبأ به ، وكثيرا ما يخاطب الشاعر الاجيال المقبلة التي لا تراه ، بل تسمعه ، وكلما ازداد الشاعر شعورا وعمقا بدا غامضها على الناس . فعليهم ان يكونوا عميقين في شعورهم وحدسهم الداخلي لكي يحترقوا بنار الشاعر ، ويعجنوا بخميرته المقدسة)) ولهذا القول معناه العميق لانه يدل على قيمة الشعر في اليونان المعاصرة . فبالماس شاعر عالمي قد يفوق طاغور ، وطاغور نفسه في رسائله يلقبه بالاستاذ . وقد اجمع النقاد على ان اليونان لم تنجب بعد سقوطها تحت السيطرة الرومانية شاعرا كبالماس، ولم يكن لشاعر تأثير على توجيه الشعر كما كان له . لقد اعاد الشعر الى ماضيه وأجلسه في المكان الذي اجلسه فيه اجداده الشعراء الخالدون . فهو حلولي متصوف يلبس شعره لباسا من الصور فيغلب عليه الغموض لعمق شعوره . متمرد ثائر على الانسان الذي يعبد أصنام ضعفه . يعشق الحرية ويعتبرها الدافع الوحيد والمحرك الاول لكل ثورة فكرية ، ويدعو الناس الى تقديسها لان القوة السرمدية التي تضبط الكون وتوجهه هي قوة حرة . ففي قصيدته ((النرجس)) يصور الصراع بين الاوثان التي لا تشعر ولا تفكر ولا تعي ولا تحلم ، وبين نرجسة نبتت بين الاقذار ، يصور العظمة التي وقفت في هيكل ايزيس المتجبرة كما يصور التربة التي نبتت فيها النرجسة الجميلة البيضاء يصور غطرسة تلك وتواضع هذه ويصور قدرتها الكاذبة كما يصف قوة النقاوة النابتة في دمن الارض. الحق والباطل يقفان وجها الى وجه . هذا يدعي السيطرة وذاك يصمت في تواضعه لان حقيقته تكشف عن ذاتها وينتهي الصراع فاذا النرجسة المتواضعة تتضاحك من هزء القدر وسخرية الزمان وفي لمحة الطيف تتحول انظار الناس عن الآلهة المتصلفة الى الزنبقة المواجة بالعطور . ان الجمال

الخالد لا وطن له ، هو في ارواحنا اذا كانت هذه الارواح تحن اليه وفي دمنا اذا كانت شراييننا تفسح المجال لعصيره وفي قلوبنا وافكارنا وعواطفنا الممسوحة بجلال الطمأنينة . انه وراء القبح وخلق التماثيل والاصنام . انه في دمن الارض التي تنبت النرجس والاقاحي ، انه بعيد عن اوضار الجسد حيث يرعى الحقد والحسد والكراهية ((نار وطوفان وهزات ونوح عميق وفي البيت اضطراب وكما تولد نجوم جديدة وعوالم جديدة فوق انقاض العالم هكذا ولدت نرجسة . وعند ما يظهر قوس قزح يفتر ثغر الكون فتتبدد الغيوم الكالحة ويستولي على الارض سكون عميق فتخفق الطبيعة الثائرة غضبها وتبتسم لمولد الزهرة ابتسامة الأم لرضيعها . تبتسم للزهرة التي ساهمت في غذائها السيول ، وعملت على مولدها الزوابع والانقلابات الجوية ، الزهرة التي ما داعبت اوراقها الثلجية يد والتي اتخذت من ثورة الاعاصير قوة الجمال السري . يتهيبه المرء تهيبه للظلمة)) انها حرية الانسان تلكم التي يتكلم عنها الشاعر . انها نرجسة ، انه عالم بعيد المدى ، انها الحرية التي لا تعيش الا على انقاض الدمار البشري وفي الزوابع الثائرة وفوق الدمن التي تجمعت فيها كل عناصر الخير . فالدمار اساس للانعتاق ، والانعتاق لا يعرف التماثيل والمؤمنون يتعرون من كل قيد مكاني وزماني . وقد ارتفع الشاعر الى هذا الجو وحلق بعيدا عن الارض وصار في ((اغنية المجنون)) روحا تحوم فوق السديم وتطوف في العالم البعيد قافزة من شعاع الى شعاع . فاذا هي بسمة على شفة النجم واهزوجة على لسان القمر واذا المجنون يطلق قهقهة ساخرة من تقاليد البشر المنافية لكل منطق الحياة المثلى . ويستمر الشاعر في طريقه صعدا ليتحفنا بقصيدته ((الاغنية العارية)) انه ينفض كل غبار علق بالانسان ليبقى الانسان نورا يضيء دروب الليالي الموحشة وعشتروتا عارية تخرج من بين الامواج وشاطئا ذهبيا ينام عليه زبد البحر . والاغنية العارية هي أغنية الروح العارية من الاسمال البالية ، الروح لا تعرف لها حدودا ولا تحصر ضمن اطار ولا تقف في وجهها السدود لانها وجد مشتعل الى وجد مشتعل . ان الشاعر لا يعرف ان يقف في صعوده . فهو حركة دائمة . انه كالنبي يعرف ما وراء الغيب ويجذبه عالم المثال والصورة . ان جناح روحه يقوى ويشتد كلما غرق في عالم السر وعقله يزداد اشراقا كلما غاص في عالم المعاني . ويزداد الغموض كلما ازداد تحليقا ويصبح الشعر كشفا والكشف للانبياء والشاعر من طينتهم وهم لذلك يزدادون غموضا .

لقد قال اندره جيد ان شعراء اليونان المحدثين امثال داني كرينا وبالماس هم شعراء رائعون وشعرهم خليق بشعراء اليونان الاقدمين ويدل على ان الامة التي انجبت بندار وسوفوكل وافريد وهوميروس، لاتزال تعطي العالم شعرا يرتفع الى مستوى الشعر اليوناني القديم في صوره وخياله وتعابيره وشعوره وجرسه وموسيقاه وفكرته . وفي الواقع ان بالماس يحملنا دائما الى الاجواء القصية . انه يحب هذه الاجواء لان اجداده قد جابوها ، فشاعرية هوميروس تستهويه وموسيقى بندار تطربه ومآسي افريد وسوفوكل تهز وجدانه ومشاعره وصور أشيل تبهره وتحمله طبيعة بلاده الجملية الى ارتياد سر الجمال لينقله الى الانسان كما نقل بروميثيوس النور الى الانسانية .

لقد تمكن بالماس بشاعريته القوية ان يطبع الشعراء الذين عاصروه والذين جاؤوا بعده بطابع شعره وان يجعل اليونان قبلة الانظار كأمة عادت اليها قواها الفكرية وأهلت نفسها لتساهم في تطور الفكر العالمي . فالقرن الحاضر الذي عاش فيه هذا الشاعر قرن اعطى رهطا كبيرا من الشعراء الذين نالوا جوائز ادبية كبرى وصاروا خالدين مع الخالدين من الشعراء .

ان الشعراء كالانبياء يقودون الانسانية الى هيكل الفن الخالد فكل امة لا تعطي وزنا لهذه الطينة الالهية تجرم في حق ذاتها لانها تترك أقدس ما عندها وأجل ما تفاخر به وكل امة يموت فيها الشعر او يصبح نغما من انغام الحياة العادية تدلل على ان روحانيتها قد ضعفت وسيطرت محلها المشاعر الوضيعة . ولكن عندما تحتل الروح الشاعرة مركز الصدارة كقوة مساهمة في بناء حضارتها معناه ان الامة صارت في المستوى المؤهل للبقاء الدائم . فاليونان الحاضرة قامت على اكتاف الشعراء وبالرغم من تقدم العلم والآلة فلا تزال تعتبر ان الخالد هو ما يأتي به الشعر من جمال ليخلعه على النفوس فتشرق وتنور وتندفع نحو العمل الخلاق على اساس استنارة روحية داخلية . فالامة العربية اليوم التي تجمعها وبلاد اليونان رابطة الفكر ورابطة المحن المشتركة ، بحاجة ماسة الى شعراء مبدعين يتغنون بتاريخهم المجيد ويثيرون في النفوس نارا تحرق هشيم اليأس والتواكل والاستكانة ويزرعون في النفوس روح الفروسية والبطولة ويغرسون في الارواح الايمان بقوميتهم حتى اذا عملوا في سبيلها كانت هي الموحية والدافعة والثائرة على كل باطل يحاول ان ينقص من قيمتها ويزعزع الايمان بحقيقتها . نحن بحاجة الى شعراء يحولون الدمع الى نار

والتاريخ الى حياة والفكر الى قوة لا تضعف امام قوة الآخرين .

للتاريخ دورته والانسان يدور مع التاريخ وللشمس فجرها ومغيبها وعلى هذه البطاح النائمة تحت مطلع الشمس خطرت اكبر القوى الروحية وستشرق الشمس من جديد ليقول الشرق كلمته النهائية : اني ما زلت اعتبر ان القوة للفكر والمجد للروح وسأبقى واحة يستظل بها من احرقهم هجير المادة الكاوي الظامىء الى زيت يمسح به جروحه وبلسم يشفي بـه قروحه . وما زلت أسير على طريق الحق والحياة وراء هدفي الذي أنشده وهو حريتي وحرية الآخرين .

حلب في ١٩٥٨/٢/٢٣

المقدمة

الشعر اليوناني الحديث ، شعر صادر عن نفس معذبة ، عذبها الذل ، وهي الابية ، وهدها الخنوع وهي المتمردة ، وطحنتها رحى الاستعمار، وهي المخلوقة للنور ، للجمال ، للحرية . وكانت كلما فتحت نافذتها على شعاع شمس ، حجبت الشعاع قزعات من الغيوم ، وسدت النافذة عمد من دخان ، تحمل رائحة الجثث والقلوب المحترقة في أتون حقد فوار بالسخيمة والكراهية ، مضطرم بحمم المقت والبغض .

ان العذاب النفسي منبع عميق للشعر ، وبدون هذا العذاب الوجداني لا يمكن أن يخاطب الشاعر نفوس البشر ، وأكبر رابط بين انسان وانسان هو هذا العذاب المنساب عبر الازمان ، كجامع كياني لوحدة انسانية شاملة ، والعذاب النفسي الصادر عن حرقة كيانية للتحرر ، يزداد اشتعالا كلما اقتربت الحقيقة من العذاب ، وكلما ازدادت القوى التي تعمل على سد الطريق القائد الانسان الى الحقيقة الكبرى ، والحرية ، ومن الحقيقة الكبرى الى الانسان . والنصر مكتوب للعذاب المحرر لانه يصدر عن جذوة الخلود فينا،

ولقد مر شعراء اليونان في هذا العذاب الطاحن، وكان عذابهم شديداً . فهم من الطبقة المرهفة الحس ، يتطلعون الى الماضي فيرون عالم الآلهة في تاريخهم ويرون عالماً من التاريخ البعيد منتصباً في عالم خيالهم ، وأبراجاً لماعة من الفكر توزع أنوارها على العالم فيستنير بها الناس ، وهم في الظلمة يتخبطون . تلوح لهم عظمة أمتهم وقد وزعت أنوارها على العالم القديم والحديث فيتألمون لواقع هذه الامة المغلولة الروح والفكر، تلوح لهم قمم من المجد الفكري ، تتعالى فوق أبراج الفكر البشري ، ويحدقون الى حاضرهم ليروا أبراجهم المهدمة ، وأرواحهم المكبوتة ، وخيالهم المشلول ، وعقلهم المقيد ، وفكرهم الملجوم بلجام طغيان ولّده نزق طاغ ، وحب جامح منحرف عن خط استقامته ، وتضعضع كياني يقلب حقائق الحياة ويشوهها، ويصبح الانسان في قلب هذا التضعضع المخرب وقوداً لنار شرهة ، ولمعدة نهمة تطحن العظام ، وتسد اذنيها عن الانين المتصاعد من أعماق ذات الانسان المعذبة لحريتها المسلوبة المقيدة ظلماً وعدواناً حباً بسيطرة ، تحسب في نظر الطغاة قوة ، وهي ضعف ، وحرية وهي استعباد ، والمستعبدون هم أكثر الناس عبودية لانهم يستعبدون نفوسهم للظلم والطغيان والقسوة وهم لنقاوة قلوبهم يخسرون .

لقد مرت الامة اليونانية في هذا العذاب ، والشعراء هم الذين صوروه بصوره ، وجعلوه قاعدة لثورة جامحة . وليس كالعذاب ، عذاب الفرد ، عذاب المجموع ، عذاب الامة ، ما يحرك أعماق الانسان للثورة والتحرر . ان الحرية تعيش حيث الفقر والفاقة لانها بنت الفقر والفاقة . انها عارية لا جلباب لها ولا قناع . انها تجول بين أبنائها المعذبين ، لتغذيهم بروحها ، وتطعمهم

من نارها ، وتدفعهم الى المجد والعظمة ، الى دك صروح الطغيان ، وقد بناها ظلم معربد ، وقوة ماجنة ، وعبودية مظلمة . ويتعامى الطاغي أو قل يحجر الطغيان ضميره ، ويمسح باصرتيه وبصيرته بالظلام فلا يرى جمال النور ، وبهاء الشمس ، لا يرى جمال الانسان العميق ، عالمه الداخلي الذي اذا استغل للجمال ، ولد طاقات من الخير ، وخلق عالماً من الجمال تنعم فيه النفوس ، وتسيطر على الكون روح تحول الصحراء الى فردوس دائم لانسان مدعو الى الفردوس .

لكل أمة من الامم كبوة فكرية ، ولكل أمة ذات تاريخ ، يقظة لا بد منها . وهذه اليقظة هي في طبيعة الفكرة ذاتها ، اذا كانت الفكرة أصيلة حاملة لخلودها . قد تستيقظ في نفس الامة ، اذا عادت للامة امكانيتها في حملها وتطويرها تطويراً يتفق مع جوهرها وطبيعتها كفكرة . وقد تكون سببا لبعث أمة أخرى وكثيراً ما حدث ذلك. فلا وطن للفكر الا لدى النفوس التي تستطيع ان تكون مقر تفاعل لانطلاق خلاق تفرضه حياة الفكرة الداخلية . لقد كبا جواد الفكر اليوناني وسقط، وصارت الفكرة الخلاقة تلاك لوكاً ، فلا من يهضمها ، ولا من يحملها ، ولا من يتفاعل معها ، ولا من يطرحها نوراً في عالم النفوس المتشوفة الى نور الفكر . والذين يحاولون طرحها ، كانوا من المرتزقين فكرياً ، لا يؤمنون بالفكرة ذاتها ، ولا يعملون لاشعال نارها في النفوس ، وجل ما كانوا يعملون ، أنهم كانوا يحجرونها ويحولونها الى دمىً تتحرك في عقل لا اشراق فيه ، وفي روح لا جناح لها ، وفي خيال يحوم فوق الهاويات السحيقة ، خوفاً من شعاع ، وتهرباً من عاصفة ، وتجنباً لجهاد فكري ، يغير أوضاع الانسان ، ومفاهيم الحياة المحصورة ضمن جدران الفرد ،

حيث تموت الفكرة لانها للجماعة وبالجماعة تعيش لا برؤوس الافراد .

لقد توقفت حركة الفكر اليوناني عن الابداع والخلق ، وأخذت تدور في حلقة مفرغة . وأعتقد أن سبب ذلك هو أن الفكر حصر ضمن دائرة معينة من البشر او انه كان ملكاً لطبقة معينة من البشر ، وبقي بعيداً عن متناول الجماهير ، بعيداً عن هذه المادة الخام ، هذه الطاقة التي اذا استفلت فكرياً حولت المثالية الفكرية الى مثالية تتفجر واقعاً لعجن عالم جديد ، يعرف كيف يتفاعل مع ذاته لخلق العالم السعيد الذي ينشده الانسان . ان التاريخ يشهد أن الحضارات القديمة كانت حضارات أفراد ، ولم تكن حضارات أمم . وهذا ما دعا الى زوالها لتقوم مقامها حضارات أوسع في تفاعلها الفكري مع المجموعات البشرية. وستقوم حضارات على أعقاب حضارات ما دام الفكر ملكاً للافراد . ولن يكون بقاء حضاري الا اذا أصبح كل فرد في العالم ممثلا لكل ما في الحضارة من معان عميقة خالدة . وصار مفهوم الحرية مفهوماً انسانيا ، وتفاعلت الحرية بمعانيها مع عالم الانسان المادي لانارته واعطائه المكان الحقيقي في بناء البرج الانساني الصاعد نحو المثل الكامل ، وجعلت القاعدة المادية التي ينطلق منها الانسان نحو العالم الحقيقي ، قاعدة مرتكزة على الفكرة ذاتها التي ينطلق اليها الانسان .

كانت الحضارة اليونانية حضارة أفراد . وكان الفلاسفة ينادون بأرستوقراطية الفكر ، على اعتبار الفكر هبة الهيّة تحل على الافراد، لا على الجماعة. لذلك وقفت عن سيرها ، وتحجرت في قوالب وحدود ، لا تستطيع أن تكون هيكلاً للفكر . والفكر يعزف عن البشر الذين لا يستطيعون أن

يحملوه ويعملوا لعالمه . ولا يقبل الفكر أن يكون مطية لمنازع وأهواء وميول ، ولا أن يحصر في حدود معينة ، لأنه لا يعيش في الحصر ، فالحصر يميته ويشل تفاعله . انه كالماء في المستنقع يأمن اذا بقي راكداً ، ويتحول الى سيل اذا اندفعت اليه السواقي والانهار ، ويساهم في خصب الارض كلها . والفكر الخصب يموت في التربة المجدبة . وهو كالبذار الملقى على الصخور . أما اذا أتاه الغيث ، والغيث هو في قلوب الانسانية ، أثمر وأعطى ، واستطابت طعمه الارواح فعاشت وتجنحت .

لقد عجز العالم اليوناني القديم عن متابعة رسالته الفكرية ، فتوقف عند نقطة معينة يعني كل ما عندها ، أن الفكر وصل الى أمتداده الاخير ولم يعد بامكان اليوناني متابعة هذا الامتداد ، كما أنه لم يتمكن أن يحول تياراته في اتجاه الامة لرفعها فكرياً ودفعها تصاعدياً ، حتى تلتقي بالصفوة المختارة من الافراد في ميدان الفكر ، للمساهمة مع هذه الصفوة في عالم خلق مبدع ، ولقد كان من نتيجة هذا العجز الفكري ، أو هذا الركود الفكري ، أن سقطت هذه الامة تحت نير الاستعمار الروماني الذي جعل الفكرة خادماً للقوة المادية ، والفن عبداً وخادماً لعظمة السلطان ، والفكر سلوة المترفين من الطبقة الارستوقراطية وبعض العقول التي كانت تتحسس بمعنى الفكر . واذا كان في الدولة الرومانية ما يسمونه فلسفة ، فالفلسفة كانت امتداداً لفكر يوناني ، شب في اليونان ، ونضج فيها ، وشاخ في الدولة الرومانية ، وسيطر عليها وهو في شيخوخته ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تدفع بعالمها الفكري شوطاً بعيداً ، لانها كانت دولة قائمة على الفرد وقوته . فلو عملت الدولة الرومانية على جعل الفكر ملكاً

للامة لكانت سيطرت فكرياً ودفعت الحضارة من محيطها الضيق الى محيط أكثر اتساعاً ، الى محيط متسع اتساع الدولة الرومانية ، وما كان أوسعها ! ولكنها ، والفكرة التي كانت تقوم عليها الدولة ، فكرة استعمارية ، لم يكن بامكانها أن تلقي بعالم الفكر في قلب العالم كله ، ليكون سبيلا لاستنارة الجماعة ، مخافة أن يقضى على السيطرة الاستعمارية التي تعيش فقط في المستنقعات الآسنة . تعيش في الجهل والفقر والفاقة . وقد أصيبت الدولة الرومانية ، أو الحضارة الرومانية ، ـ اذا كان هناك من حضارة ـ أصيبت بما أصيبت به الامة اليونانية ، فوقعت تحت السيطرة المسيحية . واذا كان قد كتب للمسيحية البقاء ، فذلك يعود الى هدف مؤسسها وهو القضاء على الفردية وتأسيس مملكة يتساوى فيها الافراد ، ويتميزون بالايمان بالله ، بالفكر الكامل ، بعلاقة الانسان ، بهذه الحقيقة الخالدة ، ويعود الفضل الى المسيحية في طرح مشكلة الانسان كمشكلة يجب ان تحل على أساس رفع الفوارق بين حر وعبد ، اذ لا عبودية في الوجود ، لان الآية والصورة قائمتان في كل انسان مخلوق . وهي التي نظرت الى الانسان كممثل للوحدة في مجموع وحدة الكون ، وأن الملكوت السعيد لا يمكن أن يتحقق ما دام في الكون انسان لم يستنر بالايمان والمعرفة ، وما دام في الكون انسان يستعبد انساناً . والواقع أن المسيحية في جوهرها دعوة صريحة قوية الى الحرية والخلاص مما يستعبد الانسان . هي دعوة الى الانعتاق والتحرر في الصميم من الطبقية التي تعتبر مرضاً خطيراً في جسم الانسانية ، يمنع النمو الفكري ، والتقدم الفكري الشامل . فلا فرق بين انسان وانسان . لان الجميع ولدوا من نسمة واحدة ، ومن ارادة

واحدة ، وحرية واحدة ، لها يعملون . غير أن الانسان فقد حريته ، بسبب شموخ الفرد الى السيادة ، وحبه للتأله وبسبب ابتعاده الاختياري عن الوحدة الواحدة ، لخلق وحدات في قلب الوحدة . وسيبقى الفكر في حرب مع من يحملونه الى أن يصبح الحامل مدركاً لمعنى الفكر وأهدافه في وجوده القائم .

لقد سقطت الامة اليونانية تحت نير الاستعمار الروماني فلم تشعر به ، لان كرامتها الفكرية بقيت محترمة ، وفلاسفتها احتفظوا بصفة المعلم في دولة يقوم بنيانها على القوة وسقطت تحت سيطرة بيزنطية ، فبقيت لها كرامتها ، وان كانت قد فقدت كل خاصة من خاصياتها الخلاقة . والكرامة هنا شبح تخاله حقيقة ، أو بالاحرى كان اليونانيون يتصورون أنهم قد عادوا ليلعبوا دورهم في التاريخ عن طريق بيزنطية . ولكن الحقيقة هي عكس ما كانوا يتصورون لان بيزنطية وضعت الفلسفة في قمقم كانت تفتحه كلما أرادت أن تحارب الفلسفة لتقلم أظافرها ، وتبعد فكرة الحصر الفكري في فئة معينة من الناس ، وهذا تحت تأثير الفكرة المسيحية الشاملة ، أو انسانية المسيحية . وسقطت تحت نير الحكم العثماني ، وكانت النهاية لشعب لا يعرف غير أمجاد الماضي دون أن يتفاعل مع هذه الامجاد الفكرية ، ولا يدرك من فكره الا نظريته . أما حياة الفكر فلا يستطيع أن يحياها ، أو أن يجعلها تحيا في النفوس . لقد سقطت الامة اليونانية تحت نير قاس ، لا يعرف معنى للفكر ، ولا يقيم وزناً للعلم ، فانصب بكليته على قتل روح الفكر في شعب كان يحتضر فكرياً ، ويبتعد عن منابعه الاصيلة الروحية القومية . وقد حاول العثمانيون أن يجففوا ضرع هذه الامة كما حاولوا تجفيف كل الامم التي

استعمروها . وقد قال الشاعر فالاوديتس : ان الذئاب حاولت أن تمص آخر قطرة من دمائنا . ولقد كلت شفاهها النهمة ، كلت وهي ترضع ، فتركت الجثة وفيها نقطة صغيرة من الحياة عجزوا عن ارتشافها .

في هذه الحالة من الانحطاط ، تشعر النفس بالعذاب العظيم ، وفي هذه الحالة تصمم النفوس على الثورة . وفي هذه البوتقة من الآلام تصفو النفس وتشع وتصبح قادرة على الانتفاضة للتخلص من النير القاسي الضاغط على خناقها . لقد بدأت النفوس تتحرك ، والارواح تغلي . تحركت خارج القلعة القائمة على الجماجم والقلوب ، فوصل صداها الى قلب القلعة ، فتحركت الحجارة وتحرك الطين ، واشتعل الهشيم .

عالم يثور ، وحرب تقوم بين شعب يريد الحياة ، وبين طغيان يضن بها ، فاذا المعاقل تنهار ، والقلاع تدك ، والدماء تسيل ، والنار تلتهب ، والجبال تلمع بالبروق ، وتتهزّم بالرعود ، والصواعق تتنفس بالنشيد الخالد ، نشيد الحرية . لقد ثار الفكر المقيد ، وثورة الفكر أقوى الثورات وأعمقها ، لانها تتجه الى أعماق الانسان وتخاطب مثاليته ، وتجسد أهدافه الخالدة . وكان الشعراء نشيد هذه الثورة وروحها وأحلامها وأمانيها . كانوا كالعاصفة الجامحة ، عزمها ايمان ، وقوتها عقيدة ، وروحها محبة تلهب النفوس لتحترق على مذبح التضحية الوطنية . وكانوا أجنحة ترف فوق كل مكان تنشر اللهب ، فيحترق بنارها المستعمر ، وتشتعل به تلك النفوس الذليلة ، لكثرة ما طرقتها مطرقة الاستعمار ، وتهب نافضة رماد الذل لتذريه في عيون أعدائها ، وتلسعهم بسوط نقمتها ، بسوط حريتها التي

فكت قيودها . ان العذاب يثور ، وثورة المعذبين لا يوقفها الحديد والنار ، لان حديدها أصلب ، ونارها اشد لظى ، ولظاها يحرق كل شيء في وجهه ، والويل للمستعمر من ثورة الحرية المعذبة.

لقد كان الشعر المعول الاول الذي لعب في أساس الاستعمار فزعزعه ، وكان الشعر السبيل الوحيد لايقاظ الامة على تاريخها ومجدها . فكان الشاعر يصور تاريخ أمته تصويرا يتركه في النفوس نشيداً حياً ، ويوقظ النفوس بأناشيده التي كان يكتبها بحبر الحنين والشوق الى مرابع الحرية ، على حقيقة كان ينشدها في سره ، ولا يجسر الجهار بها خوفاً من السيف المسلط فوق رأسه .

لقد أيقظ الشعراء الروح في أمتهم ،ودفعوها أشواطاً بعيدة نحو المجد ، وكانوا أقوى من أي سلاح ضد المستعمرين ، لانهم كانوا يكتبون باسم أجيال طويلة مستعمرة ، ذرفت فيها الدموع ، وسفكت الدماء ، وطحنت العظام ، وتمزقت الاشلاء ، وناحت أمهات ، وندب آباء ، وبكت اخوات . لذلك تجاوب شعرهم مع حرقة النفوس الهاجعة تنتظر الخلاص من عذاب مقيم لا يعرف الرحيل . فسولوموس شاعر الثورة وكالفوس فالاوريتس وغيرهم يتحركون كما تتحرك الصواعق ، يحاربون وهم ينشدون الشعر انهم الموسيقى التي تسكر النفوس ، انهم الخمر التي تكهرب العقل ، أنهم السلك الحي الذي يربط المصير الواحد ، ويدفعهنحو الهدفالمنشود، هؤلاء الشعراء جعلوا من وطنهم أغنية صوفية ينشدونها فتهتز لها أفئدة الظامئين ، وكل من في بلاد أليونان ظاميء الى كأس الخلاص الملأى بدم الشهادة الخالدة . لقد نال الشعب اليوناني

استقلاله ، وكان الشعر يمثل الروح القومية بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، قومية فيها روح انسانية عالية تطلب الحرية لكل من يريدها لانها من حق كل شعب ، ومن حق كل فرد . وبعد نوال هذا الاستقلال أخذ الشعر يسير في طريق تعبر عن مكامن النفس اليونانية وتساهم في فتح الآفاق البعيد فكراً وخيالا وشعوراً . لأن الشعراء كانوا الطبقة الراقية في أمة عاشت عصورا في الظلمة ، وجلهم كان من طبقة الشعب ، يشعرون بشعوره ، ويكتبون بلغته ، ويفكرون بما يساعدهم على رفع حياتهم الروحية والفكرية ، وقد أصبح الشعر وحياً يتصاعد من القاعدة الشعبية المعذبة ، يمر في خيال الشاعر ويعود مصبوغاً بروح حالمة ، تتحسس آلام أمة عاشت في عذاب دائم ، وهكذا أصبح الشعب قاعدة لكل شعور ، وفكر ، وهدف ، واصبح الفكر النابع من هذه التربة ، فكراً يوحيه الشعب ، ليعود اليه بالنور والحياة . وشعر الشعب بانه مخلوق ليساهم في النضال لغاية مقدسة ، لتحرره واستقلاله الفكري والروحي ، ولبناء صرح عالمه الجديد ، على اساس جديد شامل .

لقد عرف اليونان بعد استقلاله موجة من الشعر جارفة . واليوناني بطبيعته شاعر . فمخيلته خلقت الاساطير ، ومخيلته أوجدت الآلهة ، وروحه حركت المرمر بالفن ، وفكره جاب العوالم القصية . ولا عجب في ذلك ، فاليوناني يعيش في عالم من سحر الطبيعة ، والطبيعة بجمالها تحرك عالمنا الداخلي بما فيه من جمال ، والجمال يحرك الجمال ، فيبدع الجمال في الجمال فيكون الشعر صورة لانعكاسات داخلية وخارجية تفعل فعلها في النفوس التواقة الى ينابيع الشعور الواعي . ان اليوناني يعيش في قلب طبيعة ساحرة . فالجزر

تتراشق بزيد الامواج وتتناجى وتغفو على نغم النشيد المتصاعد من أعماق اللجة السابح مع النسيم ليسكر فوق أوراق الزيتون والصنوبر والدلب ، ويتقطر ندى في أغراس الكرمة ، ويستحيل فيها الى خمر تشربها الآلهة فتنتشي ، فتجوب الفضاء وتحط في القلوب لتزرع فيها الرؤى الدافعة الى معالم الدنيا الخالدة . والبحر يدور كالعاشق حول عرائس الجزر راقصا ، فترجع ثقوب الصخور صدى رقصاته أنيناً موجعاً ، يحتضنه الرمل الاشقر ، كما يحتضن الوتر النغم الحنون . كل ما في اليونان يدعو الى الشعر ، والشعر وحي ، والطبيعة توحي الفن ، والشعر ، وتوحي الجمال . كل ما فيها يدفعك الى التحليق ، ويحمل خيالك الى البعيد البعيد من الآفاق : تاريخها الفكري والفني ، صراعها من اجل عالم المثال ، آلهتها وجبابرتها . كل هذه الامور تعيش في مخيلة الشاعر اليوناني وتحيا وتتجسد صوراً نابضة في قلب هذه الامة المكافحة في سبيل عالم أفضل .

وفي هذه المجموعة من الشعر المنقول من الاصل اليوناني لشعراء يمثلون الاتجاهات الشعرية يجد القارىء تصوف الروح اليونانية الشاعرة ، في جميع النواحي الشعرية المطروقة ، ويشعر كيف تطور الشعر ، وما هي العناصر التي يقوم عليها الشعر اليوناني . انه شعر وجداني ، شعر يتفجر عن كيان يجب أن يزداد تحرره في عالم الفكر والشعور والخيال . شعر احتل مركزه في الادب العالمي الحديث . وبحق قال الاديب الفرنسي رومان رولان : ان الشاعر اليوناني بالماس يعتبر أعظم شاعر أنجبته اوربا . وقال الاديب الفرنسي اندره جيد: بالماس أعظم من أنجبت

اليونان من يوم سقوطها تحت السيطرة الرومانية الى الآن .

وآمل أن تعطي هذه المجموعة فكرة ، ولو بسيطة ، عن شعراء شعب كانت لنا به علاقة فكرية عميقة . وكنا لفلسفته مقدرين ، وبها مستعينين لتطوير حضارتنا الفكرية العربية ، كما كنا ناقليها الى الغرب ، وعن طريقنا ، وبواسطتها، تطور الغرب الى حضارة ممتدة الاطراف ، تقوم أعماقها وجذورها الفلسفية ، على فلسفة هذه الامة التاريخية . ويجدر بنا أن نعيد الاتصال ، عن طريق الفكر ، بأمة مرت بها نفس الظروف ، وقاست ما قاسينا من استعمار وذل ، وشربت الكأس التي شربناها ، وحملت النير الذي حملناه، ولا تزال تكافح ، كما نكافح نحن ، القوى التي تنصب فوقها لتفريق وحدتها ، والقضاء على كل مايمكن استقلالها لتكون قاعدة ومنطلقاً لمطامع الاقوياء الذين يحاولون أن يعيشوا على عرق الغير ودمهم وارواحهم سواء أماتت القيم أم عاشت،أكان هناك حرية أم لم يكن . يكفي عندها ، أن يحيا انسان وتموت بشرية ، أن ينعم قوم وتندثر انسانية . ولكن عالم الحرية غير عالم المنفعة . انه يفسح المجال ، ولكن لا للنهاية . يترك الباطل في تماديه ولكن لا بد من ثورته ، فيموت الطاغي بطغيانه ، لتبقى الحرية خفاقة الجناح في عالم الانسان المدعو الى الحرية الابدية . وسيرى القارىء أن الشعر شعر يدعو الى التحرر . ومن كالشعر لهذه الرسالة العظيمة ؟. لان الشعر روح وفن ، والحرية تحب جناح الشعراء ، وتحب أن تتخذ من أجنحتهم جناحاً لها لتطير وترفرف فوق جموع الانسانية المتألمة لتجعل يقظتها سريعة متجاوبة مع هدف الحرية ودوافع العذاب الانساني ، في وسط الشقاء البشري .

+ بالماس

ولد قسطنطين بالماس سنة ١٨٥٩ في باترا من بلاد اليونان من عائلة اشتهرت بالعلم كما اشتهرت بالكفاح الوطني في سبيل استقلال اليونان . مات ابواه، وهو طفل ، وكان لموتهما تأثير كبير في حياته. فانتقل من المدينة التي ولد فيها الى مدينة يسيلونكي حيث ولد ابوه . وكان يشعر شعوراً بارداً نحو البيت إذ شب فيه بعيداً عن عاطفة الاب وحنان الام .

كل شيء يدعو الى الانكماش ، والحياة النفسية المنكمشة تحتاج الى تنفس ، تحتاج الى أفق بعيد يلوح منه نور انيس يبدد ظلمة الشعور بالوحدة . وقد وجد بالماس متنفساً له في الشعر . وكان عالم كبير منه ينطوي في أعماقه ، تفجر أنغاماً عذاباً فوق أوتار القيثارة الملهمة المجبولة في قصاع من الخيال والسحر ، والسر والرمز . فاذا بشعره اسطورة حكيت من زبد البحر ومن شهيق الموج الموجع ، ومن بسمة الفجر الخجول ، ومن الغمام النير المبطن بالسر ، ومن تنفس الغابة الغارقة تحت ثقل الظلال السكرى ، المتهادية مع كل نسمة ريح ، وزمجرة عاصفة ، وأنين حفيف ، وفي هذا المزيج من العواطف الملتهبة يقف الغموض في شعره موقف الركن الاصيل لروعة هذا الشاعر الحالم على أكتاف مجد الروح ، وفوق جناح الحرية . وعلى قمة أولمب الحق ، ناموس الحياة المثلى ، وقاعدة الكون ، التي تكسر حجب الضباب محاولة طمس القاعدة ، لسيطرة باطل غشوم ، على اعتبار ان الغموض يفتح أمام الناس مغالق بعيدة ويشحذ القريحة لاستنتاج المعاني التي

لاتقع تحت الحس ، ويغرق في بحور من الاسترسال الصوفي وراء الغيب الكامنة فيه كل الحقائق التي تحرك الشعور ، وتشغل العقل . ولن يستطيع انسان ان ينقل معاني الحياة المثلى الا في وشاح من الغموض النير لان الحياة المثلى تتميز بهذا الوشاح الغامي . والغموض في الشعر كالشذا الهاجع على شفة الزهور . والشاعر الذي يرتاد هذه العوالم وينقل مافيها من جمال واسرار ، مضطر بحكم رسالته ، وحكم طبيعته ان ينقل هذا العالم بسره الغامض وحقيقته المستعصية على الادراك العقلي . وهكذا يندفع الخيال الشاعر نحو عالم اللامحسوس ينقل بالخيال صوراً للحس ، ويكون الغموض واحداً في أية صورة ينقلها . ولا بد للغموض ان يكون اساساً في كل عبقرية شعرية ، لا بالنسبة الى الشاعر ، بل الى اولئك الذين لايستطيعون ان يجوبوا هذه العوالم الغريبة القصية . ويكون الغموض لهؤلاء مدرسة لامتحان خيالهم ومشاعرهم والافكار التي تدور فيهم تحت تأثير الموشور المنعكس من هذا النبع الفياض من النور .

لقد تلقى الشاعر دروسه الابتدائية في بلدته ، وفي سنة ١٨٧٥ جاء الى أثينا لمتابعة دروسه الثانوية ، ثم دخل الجامعة ليدرس الحقوق ، ولكن ولعه بالادب صرفه عن متابعة الحقوق وراح يكتب في المجلات الادبية وكان يغرق في مطالعة الشعر اليوناني القديم ، حتى تمكن منه ، وصار معيناً لشاعريته المتوقدة . وصار شعره على ألسنة الناس ، فذاع صيته ، واحتل عرش القلوب . وتقديراً له عينه وزير المعارف سنة ١٨٩٧ سكرتيراً لجامعة أثينا . وقد قال له رئيس الجامعة المتعصب لكل قديم ، والكاره لكل تطور في الادب واللغة ، وبالماس من وراء التطور اللغوي : أرجو ياسيد بالماس ان تترك هذا النوع من الشعر والادب مادمت قد وصلت الى هذا المركز الدقيق . ولحسن الحظ لم تتحقق امنية الرئيس . فكان ان بقي لليونان هذا الشاعر الثائر روحياً وفكرياً على كل الاصنام التي حجرت الشعور والفكر ، وقيدت الحرية في الرخام والمرمر ، وجعلت الحياة مستنقعاً آسناً لاتعيش فيه إلا الافكار البالية .

كتب بالماس كثيراً ، وله مجموعات شعرية عديدة منها : الوصايا العشر ليفتاح . شبابة الملك . الحياة غير المتزعزعة . القبر ، وغيرها . وفي هذه المجموعات تظهر قوة الشاعر وعبقريته وتظهر النواحي التي يعالجها ، وخصوصاً القوميـة ، وهي حنين الى مجد روحي يجب ان يعود وسط الجهاد في سبيل حرية هي الوحيـــدة والكفيلة ببعث روحي عميق ، وبمساهمة خلاقة في اعادة بناء العالم اليوناني على أساس فكري روحي . وفي سنة ١٩٣٠ انتخب رئيساً الأكاديمية اليونانية ومات سنة ١٩٤٣ . وقال عنه رومان رولان إنه اعظم شاعر في أوربا . رشح سنة ١٩٣٤ لجائزة نوبل ففاز بالماس بهـا .

مولد النرجسة

بين خرائب هيكل عشتروت نرجسة تفتحت أكمامها عن نضرة كأنها السحر ، فجذبت إليها العقل ، في مثل جاذبية المغناطيس الى قصة عجيبة . في صدر ذلك الهيكل الفني كانت (كيبرس) تتقبل عبادة الشعب الساجد لمجدها ، خوفاً من غضبها وكان بالقرب من ذلك الهيكل الكبير ، بيت صغير ، وفي البيت كانت تقيم فتاة فقيرة لها من الجلال والجمال مايترك الناظر اليها في غيبوبة وذهول، حتى ليحسب ان البيت هو الهيكل ، وان الفتاة هي أفروديت .

ياله من سر غريب ! في لحظة خاطفة أبدعت صبية الحسن المتواضعة في القلوب ديانة جديدة . هاهم الشباب والشيوخ يتسابقون من كل مكان الى بيت البنت ، وفي قلوبهم خوف مقدس ليخروا بين يديها ساجدين ! هاهم يداعبون الازاهر العطرة فتنتشر رائحتها كالبخور، ويطلقون الحمام ، ثم اليها يقبلون وأمامها سجداً يخرون . أما البنت ذات الجمال الالهي ، فكانت تنظر اليهم هادئة وتستعرضهم كأنهم جيش ، وكأنها شاطىء جامد يستقبل الامواج المندفعة. في صدر الهيكل الفني ، بقيت كيبرس وحيدة ، وتحولت عبادة الشعب الى غريبة مائتة

وفي خارج الهيكل المقفر العاري ، راحت أفروديت تهاجم البيت المحاذي كأنها الصاعقة ، أو كأنها روح تخلصت من الجحيم ، وفارت كالبحر الثائر ، وقذفت البنت المعبودة بهذه الكلمات . ياللمجنونة ! أراك تلفين جسدك المائت بوشاح إلهي وأنت ماستعطت أن تجتني القضاء ! لقد سكرت بالجمال . ياظلال الجمال ... أيتها الحقول المائتة التي لاتخاف من نقمة غضبي ، ولا تخلد فيها الشعلة الالهية ! اني سأحول بيتك الى رماد وسأذري جسدك في الكون . ومهما كانت جذورك عميقة في الارض ، فأنك ستعيشين أبداً كما عشت سابقاً عبدة تحت أوراق الاشجار .

نار وطوفان ، هزات ونوح عميق ، وفي البيت اضطراب ، وكما تولد نجوم وعوالم عذرية جديدة فوق أنقاض العوالم ، هكذا ولدت زهرة عطرة ناصعة البياض من خلال التطورات والتغيرات ؛ ولدت نرجسة . عندما يظهر قوس قزح ، يفتر ثغر الكون ، فتتبدد الغيوم الكالحة ، ويستولي على الارض سكون عميق ، فتخنق الطبيعة الثائرة غضبها وتبتسم لمولد الزهرة ابتسامة الام الرؤوم لرضيعها . تبتسم للزهرة التي ساهمت في غذائها السيول ، وعملت على إيلادها الزوابع والانقلابات الجوية ، الزهرة العذراء التي ماداعبت أوراقها الثلجية يد ، والتي اتخذت

من قوة الاعاصير قوة لجمال سري يتهيبه المرء تهيبه للظلمة .

هاهي ذي روح البنت تتلألأ في قلب النرجسة ، وجمال وجهها يخطر في تلافيفها أما صوتها الانثوي فعطر يتضوع كأنه يقول: سيأتي يوم تلقين فيه مصرعك أيتها الالهة القاسية الحسود ! وستنصب عليك لعنة الانسان . ولئن كنت سيدة لأنت عبدة للظلم ، وفي ظلمك تكمن قوتك ، فخلودك دخان . الطاهر والعادل لا يموتان ، وان كانا ضعيفين ومتواضعين . وان كنت حسبت انك أطفأت جمالي ، فجمالي باق على الدهر . وهناك قوة أسمى من كل قوى الارض والآلهة ، قوة لها اسم واحد ، يقال لها العدالة . ويحك أيتها الخاطئة الرعناء . ان القضاء نازل بك فالويل لك ! ترى ماذا سيبقى من نورك الوضاء ؟ ظل ضعيف ! ومن سحرك الكاذب ؟ لاشيء !..

ان القلوب ، في اتحادها وتبادلها قبل الهوى ، لن تأتي إليك ولن تحمل لك الهدايا كما كانت تفعل سابقاً عندما كانت تأتي لتسجد في هيكلك للنور الالهي المشع ، فاسمك لن يلفظه إنسان بخوف مقدس ، بل سيتبدد كالموج ويضمحل كنفخة الريح ، وسيمحى من كل عقل ومن كل فم . ومن هيكلك سيبقى حجران ، وسأقيم لي عرشاً حيث كانوا يقيمون لتمثالك الصلوات القدسية . أيتها الآلهة لابد أن يأتي

ذلك اليوم الذي تذكرك فيه هذه النرجسة التي صببت عليها جام غضبك بغابر مجدك. يرم تقف باكية فوق ضريحك، تغمر مثواك بشذا عطرها.

بين خرائب عشتاروت نرجسة تفتحت اكمامها عن نضرة كأنها السحر فجذبت إليها العقل في مثل جاذبية المغناطيس الى قصة عجيبة.

أغنية المجنون

أيها الرجال! يا أحبائي أصغوا الي واستمعوا إلي فأنا لست بشرير. تعالوا الي اتحدث اليكم. لقد طاردني الدهر ومازال يطاردني. لا ترجموني بحجارتكم فما أنا بالمجرم وما اقترفت ذنباً. أنا أتألم وأتوجع.

لقد وقفت على مفترق الطرق، واقتعدت صخرة لاستريح، فلاح لي المغيب يزرع بيديه الناعمتين فوق الشفق ورود حمراً... الشبان يمرون بي، يمرون كأنهم في عيد، أما قيثارتي المهملة المطروحة على الارض فكانت تناديني كأنها روح مريضة. وأما أنا فقد كنت الغريب الشريد التائه، ولم يكن في الكون من هو مثلي، وكنت في نظر بعضهم مجنوناً، وفي نظر الآخرين مستعطياً وفي نظركم أنتم معتوهاً. ان معارفي يمرون بي مرحين سراعاً كأنهم ماعرفوني. وقد خلا بالهم من أي اهتمام بي. أما عرائس الجمال فكن يمررن بي وفوق شفاههن

ابتسامة ساخرة . فاذا ماقادت الذكرى احداهن الى صوت قيثارتي وفتشت عن مكان تقف فيه ، ردتها على أعقابها نيران عيني الوحشية القاتمة . لقد دفنت شيئاً في تفكيري تكشفت عنه ملامحي ،فأبعد عني السائرين نحوي وئيداً ، أبعد الشباب المرح الجذلان ، والبنية اللدنة القوام ، أبعد عني الغرباء والاخصاء . لقد مرت بجانبي ووقفت كأنها تصلي راكعة . لقد جاءت لتعرف مابي . انها جاءت لتتألم ، جاءت كطلوع الفجر . هبت نسمات الغروب بليلة الجناح ، تداعب رداءها ، وتلثم جسدها الغض ، وتقف على نظراتها لتمتزج بنظرات الشباب اللعوب ، وتسكر على صوتها الرخيم الموقع توقيع الاناشيد الرائعة . يالها من فتاة حيية لدنة القوام جسور فاتنة ! فكأنها الخوخة المنورة ،أو الحقول المكللة بأزاهير لاتذبل . لماذا هربت ؟ ألم تكن قدأتت ؟أتراها خشيت ان يفصل مابينها وبين نور المساء ..المساء الذي أنارته؟إن للمغيب وروده ، وللشفق شقيقه . أي يد خطفتها مني ، أي يد أرسلها الله ؟إنني لم اقترف ذنباً . أنا أتألم ... ففمي يحرقه عطش شديد ... لقد بللت شفتي ينابيع ماء روحية ... وعلى الاعشاب الندية آثار خطواتها تصبح دليلا أترسمه فأركض .. أركض بعيداً .. لقد مزقت لحمي الاشواك ، وتضرجت الارض بدمائي .

قولوا من أنا ؟ وأين أنا ؟ أفي الجبل أم في المدينة، أم في الحقول! أنا لست بالمجنون أيها الرجال الاحبـاء أصغوا الي : وأنت أيها البيت انفتح امامي لادخل ... وانت ايها البستان انني اشتاق واحن إليك . انا اعرف . هاهو ذا البيت .. لقد دخلت من هناك ، من ذلك الباب. إني رأيتها من هذا الباب المقفل . وفي هـذا البيت الذي درت حوله طوال الليل ولما ازل حيث انا . لقد داهمني الفجر فاستيقظت الـكلاب ووثبت علي تشبعني عضاً . ماذا ؟ لقد حسبني الجيران واهل الحي لصاً وقاتلا ، فأفاق الاسياد العبيد وأوسعوني ضرباً . رحماك اللهم! أنالست بالسارق المجرم . أنا لست من السارقين والمجرمين يأبناء الانسانيـة . تعالوا الي واسمعوا مني . لقد طاردني الدهر فلا ترموني بحجارتكم فما أنا الا يتيم يتألم .

نقضت الحاجز ، ودخلت البستـان وأزعجت طيوره ، فقبلت أزاهير المجازات كما قبلت آثار قدميها . ياللأسف . هذي هي الحقيقة. لقد جئت لارى خيالها من النافذة قبل ان تطفىء الشمعة .جئت لارى خيال رأسها اذ تديره عندما يثقل النعاس أهدابها . ارجموني ايها الناس. وعذبوني أيها العبيد في أعماق السجون .

ان نوري لايغيب . قد عرفت المحبة ، لقد عشتك أيتها الحياة ..

الميت

هنا في داخل هذا المكان اشم روح ميت . والميت شاب اشقر امرد شجاع . نور اشقر جديد يتراقص ويرتجف في زوايا هذا البيت تقع ظلاله فوق وجه الميت . لقد مرت الايام والساعات ، وتصرمت السنون والاحقاب ، ولما تزل روح هذا الميت تحوم في هذا البيت . تحوم كأنها السكينة المرة تحيط بالقارب الذي يشتاق الى الاسفار ويحلم بالعواصف .

هاهي ذي الوجوه ، وجوه الجميع ، سربلتها سحب من الكآبة كأن شمعة الموت المرتجفة قد انعكست عليها . هاهي ذي العيون قد تسمرت كلها في النعش . وها هي ذي الشفاه ترتجف على مهل فتتساقط منها قطرات المرارة عندما تقترب من الوجه لتزوده بقبلة الوداع الاخيرة . أما الايدي فتخالها في ارتفاعها ضارعة بالصلاة . ماذا ؟ ان الارجل تهتز كأنها ترافق الميت ... عالم من الموسيقى ... الجدران الناصعة البياض ، والغنى ، والثياب السود ، كل هذه موسيقى مستقلة كأنها تتكلم ... أما الاولاد فكانوا يسيرون ببطء مخافة ان يوقظوا الميت في حلمه . والشيوخ كانوا ينحنون كأنهم على شفا حفرة يستندون الى اكتاف العذارى . وهؤلاء كن ينحن ويبكين يشاركن في ذلك الشبان الذين

كانوا يمرون ويلتمسون من يد الحكمة الالهية هذه الزهرة الذابلة . هناك فوق الشبابيك المقفرة أصص جللها السواد، والاشعة التي كانت تنسل من الشقوق ، كانت كأنها شمعة في سبت الاموات والسراج الموضوع تحت الايقونة ، كان يرتجف رجفة تخالها حشرجة الموت ، أو تخالها فراشة محومة حول النور تتهالك عليه راقصة رقصة الروح الجذلى وقد فرحت بلقاء البيت . ولكن كم تحب وكم تشتهي ؟! كم تشتهي هذا الميت الاشقر الشجاع ،ميتها ! وكم تشتهي هذا البيت الذي يحوم فيه ملاك الميت ويحاول ان يحتفظ بصديقه المخلص ، فحول نفسه الى ضريح .

نبوة

سيأتي يوم ، يوم اسود تتقطر فيه روحك أيتها المدينة رويداً رويداً في الارض المحبوبة الفتانة ، في بهجة الشمس ، في نسيم أيار تتقطر هزءاً وهذياناً وكذباً ونواحاً وعرشاً . وتبرز الى النور فتنكشف الشمس حتى ليخيل أنها تغذت من دمها القاني. هاهو ذا نسرك المزدوج. لقد طار بعيداً بالمقدسات وبكل ماهو نفيس طار لتستظل بأجنحته الاربعة شعوب اخرى ، وقمم اخرى ، وسفوح اخرى . طار نحو الغرب ونحو الجنوب يحمل التاج ويمسكه بمخالبه الحادة . يحمل المجد والقوة

يحمل الهزء والكذب والملك الذي ولدته تحت الشمس . انظر يا إلهي كيف تجر نفسها الى الامام كأنها بومة مضمخة بالطيب . كل وضيع يحيا فيك . وكل عظمة تحيا بدونك كما يحيا أيضاً الانبياء الذين يسجد لهم صعاليك وعمالقة وحكماء الارض وقضاتها والذين يهذون بالكلام الباطل واصحاب الرتب العالية والحكام والخصيان والوجهاء .

ستتركين أيتها النفس هذا الجسد العفن البالي ، تلسعك سياط الجريمة . ولن يجد جسدك شبراً واحداً من الارض ليتخذه ضريحاً له. فسيبقى جثة مطروحة على وجه الغبراء تنهشه الكلاب ، وتأكله الحيوانات الزاحفة. أما الزمان فبدورانه الدائم سيحتفظ بذكرى هيكل مشؤوم . فليرأف بك إله المحبة ماشاء ، وليطلع الصباح وليدعك الخلاص، ايتها النفس المساقة بسياط الجريمة، وستسمعين صوت المخلص وتخلعين لباس الخطيئة وتعودين الى حريتك . وستكونين خفيفة تهتزين كنبات الارض ، وكعصفور في مهب الريح، أو كاندفاعات الامواج، وذلك عندما تصبحين في حالة لاتجدين بعدها درجة من درجات الشر تتصبين فوقها . وعندما يدعوك السمو الى ان تصعدي ، ففي صعودك سينبت لك جناحان ، جناحاك الكبيران الاولان .

لا لن اسلمك الى رسول الموت . إنك تحتاج الى من يصلح هندامك ويكللك بالاكاليل . تمهل قليلا لانضحك بماء الورد ،وأغسل وجهك بالمياه المعطرة ... لقد جفت المياه على جدائل شعرك فهو بحاجة الى تصفيف وترجيل. إليك هذا المشط الذهبي ... هاهو مع والدتك. خذ منها ايضاً شعرك الذهبي . لا لن اسلمك للموت قبل ان ازينك تزييناً جميلاً لاني اخشى ان يراك كما انت فيتوهم بأنك ما كنت مدللاً ... أخاف عليك منه لئلا يهملك ويتركك .

ماذا تريد مني ؟ أتريد ان ابني لك قبراً من الذهب ؟ ام تريد قبراً من المرمر ؟ اتريد ان اكفنك بالورود والازاهير ؟ لن افعل ذلك لان الايام تأكل الذهب والامطار والرياح تذهب برونق المرمر ، والعواصف والرياح تذري الورود بعد ان تذبلها الشمس ، في مجاهل الارض سأطبع على جبينك قبلة ابوية حتى اذا ما استفقت ، مسحت بأناملك فوق جبينك ، فتستحيل القبلة الى نور يبدد عنك ظلمات القبر، والى حرارة تدفىء جسدك البارد من صقيع الموت .

الوردة العطرة

في هذه السنة داهمني الشتاء ببرده وصقيعه، فوجدني شيخاً ضعيفاً

بدون نار . كان يشتهي هلاكي على طريقه المغمورة بالثلوج . غير انه عندما اطل، أمس، آذار، والابتسامة على فمه ، تشجعت وسرت استكشف المسالك القديمة فاذا بي أشم في بداية الطريق عن بعد، اريج وردة عطرة. شممتها فامتزج اريجها بدموع عيني .

مرارة

لقد قضيت السنين الاولى من حياتي . قضيتها بالقرب من الشاطىء ، شاطىء البحر العميق المتسع الهادي . في كل مرة تتراءى لي فيها حياتي الاولى المزهرة ، وألمح احلامي الفتية ، وأسمع تمتمات سني الاولى ، يتأوه قلبي ، ويصعد الزفرات متمنياً ان يعود الى الماضي ، ماضي الحياة بالقرب من ذلك البحر الهادىء العميق المتسع . إن نصيبي من الحياة واحد ، وواحد هو فرحي . فما عرفت فرحاً غير هذا الفرح وهو ان يكون في داخلي بحر هادىء مصقول كالبحيرة، واسع كبير كالمحيط . لقد رأيت كل ذلك في منامي ، وقربتني احلامي الى هذا البحر الواسع الهادىء . يالالتعس ! لقد استبدت بي مرارة كبرى عجزت عن أن تحيلها اشواقي وحنيني الى سني الاولى بالقرب من الشاطىء . لقد عجزت خيالات نفسي وجسدت التذكار حنيناً . ان زوابع وعواصف تعصف في داخلي . انها عواصف هائجة لايسكنها انفتاح نفسي العظيم

على الماضي إنها مرارة الحنين الى السنين الاولى التي قضيتها بالقرب من الشاطىء .

أصوات

أوصد النافذة ، ففي الاعماق يتسع الفضاء . لاشيء غير الفضاء ، أوصدها فوراءها سروة نحيلة تقف في وجه الافق ، وما من شيء غير هذه السروة . اوصدها ولا تسل عن الفضاء أكان لماع الجبين أم كان مكفهراً قاتماً . أوصدها ، فالسروة تصبّح أفراح الفجر بهزات حزينة ، وتمسي ضجيج الزوبعة بارتعاشات كئيبة ، فهي هادئة جميلة شقية ولاشيء غير ذلك . لقد مرت ست عشرة سنة على حبي لحبيبتي الجميلة . ولما اهديتها رسمي طي قلب من ذهب ، مزقت الرسم ، وذرت قطعه الممزقة في الفضاء ، وعلقت القلب حلية في جيدها ، علقته وقد ورد الفرح جمالها الذابل . لقد انتهى بنا المطاف الى هذه الجزيرة الجميلة . فشاطئها المنفسح الأفق ، غرق تحت الانوار ، ووشحه الزبد بثوبه الابيض ، وظهرت وراءه خطوط الاطلال والغابات ، وقد تنفست برائحة الآس والحدائق ، وقد تدلت اثمارها الناضجة . أيتها الظلال ! إن الحب يتكلم فترجع البلابل اصداء أغانيه . وهو ذا شاطىء يدعوك ايها القارب . وهناك آخر يناديك فأين سترسو أيها القارب ؟ إلى اين سيتجه الملاح ؟ حذار

من ان تترك ألمك . حذار من ان تتركه هنا . اعتن به اعتناء الام بولدها واحمله معك الى حيث الاحلام بعيداً عن هذه الدنيا ، الى العلاء، احمله، وفي تربة السكون القصية ازرعه وافتح عينه ،واجعلها مدفناً لصوتك. فاذا رفض ان تكون مدفناً لانغامك لضيق فيها ،فأطبق جفنيك،ومت كما مات ألمك . كل شيء في الدنيا يدعو الى الحيرة. امرأة تنهمل قطرات دمعها كرذاذ المطر من عيون تتلظى ناراً ؟ والشمس توزع انوارها على الكائنات فيشيع الفرح والسرور . وفي عرس الكون لايستطيع الانسان ان يفرق بين اغاني الطيور والاطفال وجمال الزهور والنبات. فالكلمات تخرج من الشفاه كقبل ناعسة ، والشفاه كأنها فلقات من الخوخ الوردي . ان الحب يبني عشه في هذا البيت ، وأيار يقف على مقربة منه . إن فأساً حادة تتهيأ لتعمل عملها في أساس الشجرة . فيا أيها النبع ! يانبع بيتنا : أيها النبع إن حنينك الى شفتي حنين باطل ، ولن افتح شفتي لتنصب مياهك في فمي ، ولن ترى كأسي بعد . فكأسي التي كنت تعرفها قد تحطمت . لا لن اشرب من مياهك فيداي قذرتان ، وفمي يحترق بحرارتك. لا لن اشرب لاني أخاف على مياهك من شفتي . أخاف ان تجف من حريق انفاسي . فاجرِ يانبع ! وغن فطريقي غير طريقك ، ومرابعي غير هذه المرابع. مرابعي نبع لايجف، ومياه صافية تروي قفر نفسي .

كل شيء مما يحيط بنا ، كل شيء تعرى : الحقول الواسعة ، والجبال الشامخة والآفاق المترامية الاطراف ، النهار يولي سريعا ، فاشبعي أيتها العيون وارتوي من صفاء الفضاء الاخّاذ،واغرقي في فوارة النور المنبعث من قصور الجمال الطبيعية ومتاحفها . واغترفي ياقيثارة نفسي من مياه السحر الذابل على جفون الجمال سحراً لانغامك . هنا تمايل الاشجار المتفرقة في اهتزازات لاتناسق فيها . هنا العالم خمر صافية . هنا العري سيد ، والظلال احلام ،هنا في اعماق الليل الساكن يرسم الفم الذابل على خد الليل قبلة شقراء . كل شيء تعرى في هذا المكان فأصبح الصخر نجما لماعاً ، والجسد ناراً تتأجج ، وشاطىء «الأتيك» يوزع هداياه فضة وذهباً وماساً . كل شيء تعرى ليسحر النفس : الشباب والاجسام والاشواق ،وبارميدس وأرتاميس يخطران فوق الشاطىء ليسمعا اغاني أفروديت الرائعة تخليداً لجمال الشاطىء العاري . فاذا ماضجت الرمال ، فأعماق اللجة موطني ،واذا ما اكتست الصخور بالزبد اتخذت من قلب اليمّ مسكناً . ومن احضاني هيكلا لحيتان البحر العارية .

دعي عنك هذا اللباس ! دعيه يانفس وتعري ، فجسدك مخلوق

ليكون بيتاً لكهنة العري . أيتها الكاهنة العارية سلطي اسلاكك على جسدي وطهري يدي وقلبي . وأعطني أيها البدر الساهي فوق جبال الاولمب كأسك العارية لاشرب . مزقي هذا القناع ، واطرحي هذا الوشاح المزيف واتخذي الطبيعة صورة لك . تعري يانفس ، وليكن شعرك الارجواني الطويل وشاحاً تجرين اذياله وراءك . كوني تمثالا هادئاً . وليأخذ الفن الذي لايستحيل في الحجر كماله فيك . تصوري وصوري، ودغدغي في مخيلتك حقيقة العري، تصوري الطيور والزحافات والافاعي . تصوري الجمال وكل ماهو مثالي . تصوري عريك وفكري. فكري بالافاعي والزحافات والهوام التي تعشش اصدافها فيك . آه أيتها المروج المستطيلة الخضراء والخطوط والمنحنيات ! ارقصي ايتها الارتعاشات الالهية الرقصة التي تريدينها . ارقص ايها الجبين والعيون والهاويات واللجج والادغال البشرية للحب ،الورد والآس والنسرين. ارقصي أيتها الارجل المطوقة بلهاث الامواج ، وصفقي أيتها الأيدي . ياحمامة الاشواق ، والنسر الترابي . ارقص ايها الكون رقصة عارية واحدة وصعد أيها الفم الذي اجتمعت فيك حلاوة العسل ولون العسل مع لون الورد . صعد كلماتك العفوية ، وغن نشيدك العاري . آه لو استطيع ان اشرب عند انبلاج الصبح . فوق هذه الصخور الصوانية العارية لبن السعادة التي احلم بها . آه لو اشرب أنا المتكلم بألوهيتك

رحيق خلودك . ان اقدامك لهيا كل ، وفي احضانك النـارية تجترح الآلهة عجائبها .

لن يقترب منا اولئك القذرون . لن يقترب منا الغرباء بأسمالهم القذرة البالية اولئك الذين يخفون قبحهم وراء قذارة ملابسهم . هاهو ذا الفضاء والاجسام والصدور تتعرى . ان الحقيقة عارية ، وروعة الجمال في عريه . تصوري يانفس نهاراً صفق فيه النور بكفيه ، فعمر آثينا بالتبر ، وتصوري ايضاً شيئاً هو كشجرة لاورق فيها ، ولا ظلال ، ولا جمـال . تصوري شيئاً عارياً كالتنين . وصخراً غير منحوت ، تصوري شيئاً تدلك عليه عينان براقتان . فأنا ذلك الشيطان الانسان الذي يمسكه شيطانه . فلا تخافي إذا رأيت أو سمعت صوته . الشيطان . آه من الشيطان . لقد تسمرت نفسي في مكانها كالزيتونة القديمة . وحملت نايها وعزفت عزيفاً جرح القلب ، قلب النسور ، وإذا الناس يتزاوجون ويعبدون . كانت نفسي تغني اغنيتها العارية ، وكانت البشرية والحيوانات والعناصر ترقص لتحرير نفسي من زحافاتها ، وأفاعيها وكمالاتها .

منارة المقبرة

العالم يموج ويثور تحت الاحزان ، ويتلوى كالافعى وسط حرائق الالم ، وفي قلب هذا السعير المضطرم ، تتمركز فكرة السعادة

بحلاوتها وعذوبتها . فهي وليدة مشاكل الفكر المتجه نحو الخلود ، الفكر الذي يكلل هامة الظامة وأشباحها ، في سيرها اللانهائي .

حدق جيداً . تلك هي منارة المقبرة ، التي تراها بعيداً راقصة عند خط تخاله أفقاً . إنها ليست نجما . فهي ألطف من النجم وآنس ، واكثر رموزاً وألغازاً . أيتها المنارة! أيتها الحارسة الامينة لقبور موتانا. يانوراً أنيساً يقع على شواهد القبور، فيتجسد أشواقاً وحناناً تلف جثث أحبائنا ليبعد عنهم الصقيع والوحشة. أيتها المنارة ! يانور الحياة للذين في القبور ، ويانوراً لنا نحن السائرين في طريق الموت الى الحياة . أيتها المنارة ! يابسمة صفراء ، يابسمة الشفاه الميتة . إن الاموات يفرحون ويتعزون بابتسامتك الصفراء لأنك تعبرين عن هزئهم وسخريتهم بالحياة. أيتها المنارة ! ما اكثر شواهد القبور التي تنيرينها ! إن قلبي يضطرب جزعاً من رؤيتها .

هل يقاس الموت ؟ إن الحياة تقاس ، أما الموت فلا . الحياة شعلة في محيط الزمن تخبو قبل ان تضطرم ، وتهمد قبل ان تتسع . أما الموت فهو كالزمن لاقياس له . من وضعك أيتها المنارة في ذلك المكان ؟ إنك نور أنيس تشتعلين للذكرى. إنك وضعت لا لتنيري الاموات في قبورهم بل لتنيري عالم النسيان في قلب الانسان . إن النسيان مقبرة في أرواح

الاحياء والانسان ينسى كثيراً ، وخصوصاً الماضي من حياته .

يبكي الاحياء وينوحون الى حين . تنوح السروة كلما هبت نسمة لطيفة ،أيها النور ! لقد اخترت وحشة الليل ، وسكينة القبور لتنير ولائم الاموات موائدهم الرخامية هازئاً بأنوار القصور التي ستنتهي اليك عاجلاً أم آجلاً . نحن دائماً في مواكب الاموات ، وستكون شاهداً أميناً على مواكبنا ، وما أكثرها ! تسعى اليك ، حاجة خاشعة مطمئنة !

دغدغ أيها النور شواهد القبور ، شواهد اولئك الذين حرموا من دفء الحنان . ولو أنهم نعموا بدفء رحمة الانسان لعاشوا طويلا. أيها النجم الحزين المرتجف في طريق العابرين الى الابدية وسط الرياح الباردة . من لايشتهي السكينة بعد زمجرة العواصف؟ ياللجمال في طلوع الفجر ! أين هي السعادة ؟ افتش عنها في عالم الاستقبال فلا أسمع غير قهقهات سخريتي من المستقبل . أفتش عنها في هذا العالم فلا أرى غير أشباحها في عالم الغد . وماهو المستقبل ؟ ألعوبة الحظ ، وسخرية الحياة، وزمان لامعنى له . دواء تتجرعه فلا يبقى في فمك غير المرارة ! المستقبل كلمة تعني نفي الحاضر ،وأصداء الاشواق المتجاوبة خلسة فيه ،وانعكاسات الماضي الباهتة ، وخيال يتراءى لنا في أعماق أماننا الفاشلة . المستقبل

يوسع دائرة الظامة ، فهو سخرية المصيبة ، وقوة الضعف، وينحني أمامه الرأس كما ينحني أمام شواهد القبور . المستقبل تجعدات الجبين عند الاحتضار ، ودموع تجر دموعاً وصراخ بائس يقود الى القبور .

أيها النور ! أيتها المنارة الوحيدة . إني أعيش كما تعيشين وحيداً انير قبور أشواقي الدفينة ، وأمانيَّ المحمومة مجتازاً طريق الحياة . جاراً ورائي أسمالي ، أسمال حياتي الغابرة . قد ينضب زيتك أيتها المنارة وقد تنطفئين . وسينضب زيت حياتي ، وسأرقد تحت شعاعك ، وبين تلك الموائد الرخامية . فأناجيك وتناجيني ، وأعيننا متجهة الى عالم الازل ، تاركاً لك ابتسامة صفراء تلقينها على مواكب الانسانية التائهة في أباطيلها وخرافاتها .

الشاعر

الشمس خلقت النرجس . فالمجد للأرض المليئة بالازاهير، وخلقت ذوب الرحيق في النرجس . هذه الحياة ذات الاجنحة الحرة البيضاء . وخلقت النسر منقاداً بالجاذبية نحو الاعالي ، وضوء القمر العاشق . أما الشاعر ، فقد خلق من النرجس ومن ذوب الرحيق والضياء والنور . إنه ينظر الى الله وجهاً وجه . إنه الوحيد الذي يبلغ قلب الله ليقول لنا مافي هذا القلب .

رثاء

لا إن الموت لم يخطفك . لقد سلبتك الشمس في ساعة غرام . لقد سلبتك يابني وحملتك الى برجها العاجي لكي تشبع هناك من الحب الدائم الضياء . لقد سلبتك لتقطع لك الازهار المتضوعة بالاريج ، ولتقطف لك الثمار المحلاة بذوب النور ولتغسلك بماء الجدول المغمور بالبهاء ، ولتخيط لك ثوباً من شعاعها الذهبي . سلبتك لتعيدك البنارا كبراً على غزال ، رصعت جبينه النجوم .

كلمات كريسنا

أنا النور في الشمس ، والوهج في النار . أنا الكلمة السرية في الكتب المقدسة . أنا المجد للابطال، والحكمة للحكماء . كل مايوجدهو مني إذا كان حقيقة . والكائنات والجواهر يربطها خيط واحد . أما الساحرة المضللة، فتطاردني . تطاردني وتستهويني فأصارعها وأنتصر عليها .

الخيال

أيها الخيال ! أيها الخيال السيد ! تعال ياسابق العقل . ويارائس الايقاع جُرّي العبيد المتمردين ، ومن اعماق الشوق احملي السامي من

التفكير ، احملي زهور المرمر وصدى رنين الذهب اللماع ، احمليها واقيمي قصراً وانصبي للشمس نصباً مصنوعاً من ضياء الشمس واشعاعها لصورة تفوق الجوهر للخيال .

رثاء

ارسلتك الى البلاد ذات المياه الخالدة ورفعت رأسك الى صدري الابوي . لقد استغربت عيناك ، فداعبت الاساطير بأيديها الطرية شعرك . والآن وقد طرحت الجسد ، وأصبحت عنصراً جميلا ، الآن جاء دورك لتقودني في سفر نجوب فيه العالم أيها القائد ، لأمر في نجوم الاحلام وأعبر معك جحيم الفكر .

• • •

كوني ماتريدين ان تكوني . كوني أيتها الشعلة حديداً ، أو حجراً ، أو فولاذاً او هواءً ، أو غيوماً ، او حلماً . كوني ماتشائين . إني اشتاق اليك وأحن اليك . فالفكرة ، ويدي ، والفن ، والعلم ، كلها تعمل لبناء هيكل واحد . والآلهة الام تختزن في داخلها الارجواني ، والاخضر ، والابيض ، والمرمري . لقد فتشت عنها فأعطتني بلاد الاتيكي شيئاً من كل منها — أيها التنين : ياكيلاوس الشعر . إنك أيتها الاعمدة غابة لاتهتز ، غابة صامتة يجتازها الفكر والايقاع بصمت ،

وفي أعماقها المظلمة ترتسم صور ، وجهها يعبر عن الحب ، وظهرها يعبر عن الفن .

القيثارة

إني أعرف قيثارة . إنها عزيزة كحرز مقدس . لقد صنعتها يد ، ورمتها هنا . إنها قيثارة لا توقظها أنامل فن ، ومحبة ، وقوة ، ولا تستهويها الاصداء والاصوات والتنهدات . لا يستهويها الحكماء ولا الجمال ، ولا الريح الجنوبية حتى ولا نسيم الصبح . إن اشعة الشمس بقبلة ، وبقبلة واحدة ، تفجر على اوتارها أغاريد عميقة كعمق قبلة الشمس .

ظلال الجبابرة

تصل الاصوات من الظلمة كأنها هدير لجة عميقة ، وتتمايل ظلال الجبابرة . أيتها الظلال من انت وماذا تريدين ؟ أنا تلامونيوس . انظر ! إني في وسط الجحيم احتضن الشمس ، كل الشمس التي لا تغيب . وأنت من أنت ؟ فيجيبك صوت عميق من أعماق سر نفتونياس الخالق الاسمى للاولمب فيقول : أنا من يشتاق شوقاً واحداً ، ويعطش الى شيء واحد أنا اشتاق واعطش الى النور .

الى عائشة

سنون تنتصب قائمة ، وسنون تشيب . ابنة مخلوقة من الزبد ، وشيخ عجرز هرم يتنزهان في الغاب الاخضر ، والبلابل تسكب أغاريدها في آذان رفيقين لاتناسب بينهما . ياعابر السبيل لاتنظر باعجاب الى العذراء ولا تمس عذوبتها ولو بجناح فكرك إياك ان تعكر عليها فرحتها المقدسة .

ارع بعين الاعجاب هذا الشيخ . إن فجر الفتاة يشع ليل نهار أمام عينيه ، وعندما تستحم الحقول بفيض ينابيع النور الالهي ، تدفن عواصف الشتاء القاسي في لجة من النسيان .

الى أين يذهب هذان الرفيقان ؟ ان البلابل صمتت فلا تغني أغانيها القديمة . أيها المعول ! أللأشجار ؟ أم للزنابق ؟ أم لهذه الفتاة تحفر هذه الارض الجافة ؟ إن البنت تسير ، والشيخ يسير وراءها . لاتبك ياعابر السبيل حياة الفتاة القصيرة . إنها ستعود من احضان الارض ، الى هذه الارض المريضة ، سيعود العصفور محملا بالجمال يبني عشه من جديد . لاتبك الفتاة . بل إبك الشيخ الذي تكوي اللعنة شيخوخته . إنه الوحيد الذي يستحق البكاء . فهو ميت يفتش في البرد القارس عن قبر فلا يجد ، إنه ميت لايعرف طعم النوم .

نشيد الأولمب

أيتها الروح ، القديمة الخالدة ! أيتها الام الطاهرة للجمال العظيم الحقيقي ، هلمي انزلي ، هلمي أشرقي . هلمي أبرقي في مجد أرضك وسمائك ، في الطريق ، في الكفاح ، في الصخر . هلمي شعي في اندفاعات السباق الشريف وانحتي من الحديد ، وكللي بأغصان لاتذبل جسداً يليق به الاكليل . الحقول والجبال والبحار تشع معك كما يشع هيكل عظيم بشعاع ابيض يوشيه الارجوان . ان الناس يركضون الى هذا الهيكل ليسجدوا لك أيتها الروح القديمة الخالدة .

أثينا

أثينا أيتها البلاد المكرمة المكللة بأكاليل الذهب . ان الالهة تحوم في أجوائك ساهرة . لقد تركت أولمبها لكي تأتي وترتاح في تربتك المغروسة ببعض الصخور . لقد تركته لان إنسانك اكثر تفهما لها ولان الصلاة في جوك ، تتصاعد من اعماق القلب ، وقيثارة الشعراء تصدح في عذوبة ، والشراب النادر الذي يطرد الهموم ، يقدم الى الخالدين في كؤوس صافية ، والصور التي يحفرها الفنانون تحفر في صدق واخلاص فوق المرمر المحافظ على رونقه وبياضه الناصع .

هنا يبرق ويرعد زوس ليؤدب الاشرار . وفوق الزوجين السعيدين تمطر أورا ينابيع الحظ ، والكائن الاكبر لا يموت، وإلهة الحقول ديمترا تغرس السنابل ، وأفروديت الورود ، وأرميس يقف بجسده الفارع كأنه على استعداد للصراع ، واجتياز المسافات الطويلة. أما بنات جوبيتر آلهة الرياح ، فتصل على مهل تتبعها إلهة الاخلاق بشبابها الريان. وتعقد ربات الشعر في الهواء الطلق النقي حلقات الرقص، ويركض كيفييوس فتتفجر الينابيع كأنها بناته يظللهن الندى ، وتنسكب في البطاح فتتمزق أحشاء الارض عن ألوف من الازاهر .

نشيد

شيء عظيم .. شيء جميل .. شيء من هناك من بعيد . شيء يصل الينا، الى هنا، وينسكب كالبرق مفتشاً عن هالة النشيد الوضاء . هيا استيقظ . هيا احمل رعشات الغابة وثورة الغيوم وتذكر . تذكر صرخة الشاعر بندار . أنا لست بخالق التماثيل ، أنا أنشد الاناشيد .

عشقت تفاحة في بساتين الاسبرينون . تفاحة ذهبية تدلت في أعالي الشجرة . لا توقظني فأنا مكافح يعمل لاستعباد اللحن على أوتار قيثارتي العاجية الذهبية لأصبه في اذن السجان الغليظ القلب ولأجعله أليفاً . استيقظ فلست بخالق التماثيل . استيقظ وأنشد الاناشيد في

اناشيدك يامختاري ، شهوات وارواح . في اناشيدك احلام النرجس وظمأ الشعوب . استيقظ هيا انظر .

ارى السماء من فوقي كأنها ابتسامة مخنوقة . وتحت اقدامي ... يالحنيني ! بلاد اليونان المفجوعة . أزمنة تغذ السير . وأزمنة تدفن الملكة التي لا يعبر عنها ، بعمقها وحيويتها ، ملكة العمل والعقل . والآن ، ان صوت المعول المناضل يتكلم . انه يحفر ويحفر . وفي حفره ينبش عظام هيكل عظيم . ينبش بقايا هيكل محطم . كل ماحولنا قفر . وضجة الجموع شتيمة تلوث الاثير النقي . انهم يعيشون حياة كسل وخمول في هذا المكان ، يالمجد ! المجد ليس حطاماً . انه السنديانة العظيمة ذات الاغصان الخفاقة كأجنحة الطير ، الاغصان الظليلة التي تظلل الارض ، ارض العمل ، فتخفف احتراقها بنيران الشمس . المجد هو الشجرة . هو الذي يسير باندفاع جناح البطل . ان هوى الجناح تحت ضربات فأس الحطاب هوى ، وان حلق حلق .

استيقظ فما أنت بخالق التماثيل . استيقظ وأنشد الاناشيد . استيقظ فالنشيد ليس نواحاً دائماً . ولا هو أوراق الخريف الذابلة . ولا هو قبلة سرية تحرك شفاهنا . إنه روح الاحلام مجبولة بظلال الليالي . إنه أزيز وقصف ، إنه فرحة الطيور البحرية وسط الامواج الثائرة

وسط أمواج الشعوب . والظافر في النشيد مرثونيوس . إن فم الغضب ينفتح فوق رماد صادوم .

شيء جميل .. شيء عظيم .. شيء من هناك . شيء من بعيد . شيء يحمله المجد على جناحيه الحالمين . لقد جاء المجد ، وعلى قدميه آثار الطريق التي اجتازها : غبار من تراب مذهب ، تراب الارض البعيدة ، وأزهار مجهولة من المروج التي ترعى فيها قطعان كافروس .

في الاصياف الندية . ينسكب أيار من الشمال الى الجنوب . ولأول مرة يزأر التنين الاطلسي فيمتد زئيره فوق البحيرات والغابات الافريقية فترجعه كلاب البحر الحمراء ، وعرائس صدورنا البيضاء المخلوقة من الزبد ، ويلفح بأنفاسه النباتات النامية في أحضان امها الارض الجليلة . لقد تنشقت بذور الارض الهواء ، وتقوت سوق الاعشاب ، وامتلأت بدم جديد الحشائش النامية في قمم الجبال . لقد نبت رجال يحبون الحرب إنهم كالشلالات الهادرة. لقد نبت رجال يحبون الحرب. إنهم من مواليد هذه الارض المحيطة بنا . إنك تعرفينهم أيتها الرياح، والآفاق ، والمياه الدفاقة ، والطوفانات ، والدمدمات لانك قصور مذهبة واكاليل للابطال ، بل أنت ينابيع من الاكاليل لرؤوسهم . إنك ستنشدين بفخر عظمتهم من السفوح الخضراء ، من افريقيا . ياللعبدة !

افريقيا المشوهة الى اوروبا السيدة . إنك تعرف أيها المروض مايساوي قليل من الحرية . إنك تعرف أيها المروض القاسي للقارات . إنك تعرف أيها الفارس الماهر لتنانين المحيطات .

إن بزوغ فجر الجيل كان كالحاً ، فاستيقظت وتطلعت الى ماحولك لتري نفسك تنحتين لك تاجاً من سلاسلك المحطمة . أيتها الملكة ! إن يقظتك التي لا يعبر عنها ، كانت يقظة ساحرة . لم يبق وتر من اوتار القيثارة إلا أصبح نبعاً للنشيد . لقد استيقظت بسلاحك الكامل ، بسلاحك القديم والجديد فارتسمت على دروعك الهيرقلية كل عجائب الآلهة والابطال والازمنة والامكنة حية ناطقة . لقد استيقظت بكل تاريخك ، ان تاريخك مومس للأفاكين ودرعك محبوكة من اوتار القيثارات تلوثها الاوساخ . لقد اغرق الطوفان كل شيء فلم يبق شيء من القصور القديمة ، ولا من الاسس الجديدة . لقد أقبل مغيب الجيل . ياللصبح ! صبح الأرواح التي لاتقص أرواح الاماكن الموحشة تواريخها .

أيها الزمن الذي ينطفىء ! إن انتصاراتك قد بقيت ، والاهرام لمّا تزل حية . إن الوف المشاعل تلمع أيها الزمن الذي ينطفىء . تلمع لمرورك أيها المخلص لعوالم تصفعها الليالي . لقد أوقدت بعض البراكين ،

ورشقت بعض الحمم . لقد فرح بك الظالمون المنتصرون ، وربطت في عجلتك حقائق سيدية ووسامات غدرية وجررتها كالعبيد . أيها الزمن الذي ينطفىء ، أيكون هذا القبر، القبر اللولبي ، أيكون لمجدك ام للعنتك؟ فأنا لن اكون مذيعاً . لن اكون مصوراً لقصورك وهواياتك . أنا الابن المدلل لأمي . وعندما تحملني الاحلام كمسافر الى ماوراء العالم ، الى سفر سماوي ،فاني انا اليد التي تشد طرف ردائك الارجواني ياأماه . والآن تنفتح اليد وتنطبق في الفراغ ، في الصقيع . تنطبق على المزق الارجوانية المقدسة . ذئاب تعبر في ظلمات ينيرها ضوء ضعيف. إلامَ تشيرين ... هناك بعيداً في الاعماق وأين هو ذلك اليوم ؟ وتطفىء أنملتك هذه الابعاد ، ان ارض كافروس تلمع بالبروق والصواعق .أيها النشيد ارفع بطولة سولوموس عالياً . لقد ذهبت مع الريح ، ومع طيور البحر الى تلك القبيلة المجهولة المحتقرة . هاهم أهل اسبارطه قد نبتوا ،وكذلك اهل سوليا . فافرحي أيتها الاصباح، ياأصباح الاماكن العذراء المجهولة . أيتها الاتربة الحاملة الكنوز لقد أتى الكنز الكبير، مباركة هي الساعة . المجد لها ، والبطولة والتضحية . ويكفي للقلب ان يلد ابنة كاملة السلاح ، يكفيه ان يلد التاريخ .

من الرخامة الاولى ، من الرمس الاول ، أسمع صوتا منسابـاً أسمعه يقول : أنا هو ديكسيليون . أنا ابن أثينا المعبود . غذتني اناشيد تيرناوس المدوية ، وأزعجت حلمي أحلام أشيل . في الطريق ، خارجاً ، في الطريق ، في العمـل ، في المروج الندية غـذت الشمس جسدي ، وفتحتـه كما تفتح براعم الزهر . وفي المدرسة تعهده الله ورعاه ، والله يرعى الشباب ، وشذبه ونسقه وجعله لدناً جميلاً . وعندما كنت امتطي صهوة جوادي ، كنت كمن يطير على جناحين ، وكنت الاول بين الاولين . وكنت ارافق قارب أثينا . وكنت اقول : أيتها الالهة اجعلي في صدري قلباً قوياً وأجنحة لقدمي ، وعزماً ليدي لأذهب الى حلبة الصراع وأزهو منتصراً في القفز والعراك والمسافات الطويلة . إنه لشرف عظيم ان يكون لي قلب من حديد ، وجسد مجنَّح .

لقد طرقت حلمي أشواق المجد فقلت للأسياد : إنني اريد ان اسمو . اريد ان اكون قائداً . اريد ان اكون شاعراً مسرحياً مجيـداً يسحر الجماهير . اريد ان اكون صوتا مدوياً في يينيـكا ، وصاعقة للاشرار . اريد ان اكشف مع الفلاسفة ، حيث يركض ايليسيوس بعذوبة ، وينشر شجر الدلب ظلاله الندية اريد ان اكشف عن ظلمات

النفس ، وأسرار الكون . ولكن إلهاً رحيما ، إلهاً لم يتخل عني ، كان يحرسني ، هو الذي أهلني لمجد أكبر ، وشرفني لاحارب في سبيل وطني .

هو ذا الصبح يردد أناشيد الحرب وألحانها . وأثينا في احلامها الافلاطونية تستيقظ على مهل إنها كالهة أثينا ، الابنة الناعمة الهادية ، الابنة التي تحمي مدينتها .

ان اسبارطة الثائرة العاصية ، اسبارطة تهددنا . لقد تذكرت قسمي فركضت مدججاً بالسلاح وركبت جواداً مثالياً محبولاً من الزبد ، جواداً يحب الحرب ، تدق حوافره الارض ، وتثيره الانغام الموسيقية العاصفة في أذنيه . ويتململ الرمح المتمركز على قبضة اليد ويضيق صبراً . ويلوح لي ان قلب كوردوس يخفق مجلجلا كالرعد ، وقامتي ترتفع عالياً كقامة الاباقس ، ويقودني الله في طريقي ، فاندفع وما من احد يستطيع ان يوقف هذا الاندفاع . لقد اشتبكنا في حرب . كانت الحرب في حقول كورنتوس . وكان الاسبرطي الذي كوته حرارة الشمس قاسياً ، فكأنه ريح جنوبية عاتية تصدم وجهي . ان السنين العشرين من عمري كانت تضطرم وتغلي . إنك رجل من اسبارطه . إني شاب أثيني . اعضديني ياظلال الاجداد ، ظلال المحاربين في ماراتون .

هأنذا مسك اللجام ، وأدفع بالجواد كسهم ناري ، وأميل وأنحني ، وأرمي برمحي الطويل فينطلق الى صدر الخصم ، فيتدحرج الخصم نحو أقدام جوادي ، إني معجب بهذا الخصم العنيد . لقد سقط وانتهى . لقد انطفأ ومع ذلك كان في سقوطه كأنه يندفع صامتاً لمتابعة المعركة القاسية .

أنا هو ديكسيليون أنا ابن اثينا . حاربت وانتصرت . حاربت في سبيل بلادي . سيهاجمني الموت لينتزعني من هذه الارض الى عالم آخر . لن يرميني في لجة الموت ، لن يرميني في الجحيم . إنه سيتركني خالداً مغتبطاً . سيتركني تمثالا في أليسيا المرمرية ، أليسيا الفن . إن الزمن يعبر ، والارض تتغير وتمر الشعوب والعوالم ، وتتساقط اوراق الخريف الذابلة الصفراء . أما أنا فباقٍ في مكاني ، ثابت . لقد ركع عدو بلادي تحت قدميّ . ياللفرحة ! ياللحياة الظافرة ! ياللسعادة التي لاتوصف ! لقد تجمعت كلها في أليسيا الرخامية في أليسيا الفن .

أريس الجديد

ماذا أرى ؟ إنها اقدام جيش ، إنها عربات حرب . صلبان ونسور اعلام ، ودروع ، ومن قلب الغيوم لايخرج إله هوميري . الغيم تعقده اقدام المشاة والخيول فيرتفع ويثور ، ويكثف ، ويلف الرجال . وتلمع

بين أثلام الشعاع رجالٌ ، ولا كالرجال ، ينتضح العرق من اجسامهم ، عرق آلاف من الطرقات ، وتضطرم نيران آلاف الحروب في عيونهم. إنه شعب صعب المراس . إنـه شعب لا يهجم صوب بحيرات الدم والحطام ، إنه يصل الى هنا فرحاً . يصل باحتفالٍ مهيب كأنه آت الى مزارٍ ديني او الى احتفال عظيم فيهتز وتفور الارض تحت اقدامه... هذا ما أرى .

قائد جبار لا تلين له قناة ... إنه يتميز من بين الجموع، انه واحد بمقام الف ، قولي أيتها العوالم ، قولي أيتها السموات التي من حولي من هو هذا العظيم ؟ من أين أتى ؟ ان لباسه لباس ملكي . المحيطون بـه يلبسون نفس اللباس ، ولـكن عظمته فريدة بينهم . إنه ينفرد بعظمته. ويتميز عن اللابسين نفس اللباس الملكي . ان هيئته تدل على عظمتـه ، إنها صورة عن نفسه العظيمة . ان عينيه سراجان يشعلها العزم ، ونظراته ثابتة ، تستلفت الانظار ، لا مجال فيها للخبث الخفي ، ولا للخنوع القاتم، اذا ضحك رقص واهتز جسـده الفارع ، وفي غرفة جبينه المرصعـة بالنجوم ، يسيطر الفكر ، وتحكم العظمة . له وجه كالبدر صفاء ، وعنقه المرمري يقف كالبرج بين كتفيه . انه برج تغطيه أعشاب ذهبيـة ، ولحيته النابتة المستديرة ، يتماوج فيها الذهب والفضة ، فتنساب وتتدلى

كأنها خيوط من تبر. اذا هزته فكرة غاضبة ، رفع يديه ، وقبض عليها بعنف كأنه يصارع ليضع حداً لشيء ما. كان صدره مربعاً . وقامته لم تكن قامة انسان عادي ممن يمرون على الارصفة وفي الازقة . كان هيكلاً من الايقاع والتناسق ، وكان مخلوقاً لجواد شديد قوي الشكيمة، يهوى الاندفاع ، ويعشق الصراع . لم يكن له مثيل وهو على صهوة جواده ، فتخاله نحت نحتاً فوق صهوته ، وتخال ان وسامات الدنيا قد ظللته ، وانعكست هذه الظلال على أعماله ، انه منتصب على ظهر جواده وعلى حالٍ واحدة في هبوطه وصعوده اذا كافح حسبته يحلق .ويبقى كما هو سواء اسار على مهل ام ركض ، أإندفع ، أم جمد .

قولي لى أيتها السموات والعوالم التي من حولى . قل ياشجر الزيتون . قل أيها الشجر الخاشع تحت اجنحة الشرق الفضية الراقصة والمنقي لزفير النسمات . قولي لي ايتها الآكام العارية ، والشواطىء التي لاتشيب ، قولي لي ايتها السموات من هذا ؟ واذا كنت لاتريدين ان تقولي فدعني ايها الاولمب أقل : إنك أريس . ان عرق آلاف من الطرقات تتحدر من جبينك ، وآلاف من نيران الحروب تشتعل في عينيك . لقد اكتشفتك وان كانت الايام قد عبرت . لقد عرفتك مهما تغير اسمك . لقد عدت يا أريس . انك اتيت لتحتضن في قلبك، بنفس القوة ، بنفس العزم بلادك، بلاد اليونان .

دروسينس

ولد الشاعر جورج دروسيني في أثينة سنة ١٨٥٩ في بيت غني تحت ظلال الاكروبول . وكانت عائلته تتمتع باحترام أبناء اليونان للدور الذي لعبته في كل الثورات الفكرية والوطنية الرامية الى تحرير اليونان روحيا وسياسيا . وكان ميالا الى العلوم الكيميائية والرياضيات . وقد دخل الى الجامعة بعد انهائه علومه الثانوية لمتابعة دروسه في الكيمياء ولكنه تحول الى درس القانون ، ثم الى الفلسفة فنال فيها الامتياز ثم ذهب الى جامعة ليبزغ للتخصص ، وتتلمذ على يد الاستاذ الشهير اومرمباك . ولما عاد الى وطنه أسندت له ادارة المجلة المشهورة استيا فكتب فيها تحت اسم مستعار . وأصدر مجلة باسم « التربية الوطنية » ووضع كتابا بعنوان « مذكرات اليونان العظيمة » . وفي سنة ١٩٠٣ عين مديراً للتربية الوطنية ، فأظهر مقدرة في تسيير الامور ، وعمل على تطوير البرامج التعليمية تطويراً يتفق مع طبيعة اليوناني الطموح ، وخدم بلاده خدمة تذكر . وله يعود الفضل في تأسيس رابطة نشر الكتب المفيدة وترجمتها من اللغات الاجنبية لخير الفكر اليوناني الناشىء . وقد عملت هذه الرابطة عملاً مجيداً لانها فتحت العقل اليوناني على عالم يعتبر تتمة لعالمه القديم المجيد . وفي سنة ١٩٠٩ ساهم أيضاً في مدرسة العمال ، وكان يشرف على نظامها ويهتم ببستانها وأهم عمل اجتماعي قام به ، هو تأسيس مدرسة لتعليم العميان . وقد نجح المشروع بالرغم من كل العراقيل المادية التي قامت في وجهه . ولكن الايمان فتح أكف المحسنين وتحقق المشروع . وكانت أكبر مكافأة لقيها الشاعر من العميان أنفسهم . فقد تكلم أحد الفنانين العميان

الذين درسوا في مدرسة الشاعر في احتفال تكريمي أقامته اليونان لشاعرها الانسان . تكلم باسم زملائه شاكراً للشاعر انسانيته العظيمة التي أعطت الانوار الداخلية الى عميان لولاه لكانوا عالة على الانسانية وظلاماً وسط نورها . ولكن الشاعر، وهو عالم من الاحسان الروحي ، يحس ويشعر بآلام الانسان وخاصة اولئك الذين انسدت في وجوههم ابواب النور .

ان دروسيني شاعر مطبوع يرى الامور بمنظار الطبع النقي والشعور المنساب تحت اقواس النور . يصور عواطفه تصويراً لا يعرف الاضطراب وينقل مشاهد الطبيعة كما هي ، ويرسمها باخلاص على لوحة خطوطها الصدق ، ولونها طبيعي ، وجمالها أخاذ وفواح بالشعور الصادق الفارق في لذة الجمال . له مجموعات شعرية كثيرة أهمها : ظلمات مجنّحة . السكون . الاجفان المطبقة . نواح . الفاتنة . ولتعريف هذا الشاعر يكفي أن تقرأ ما قاله عن نفسه :

انني لم أكتب شيئاً خيالياً وكل ما تجدونه في شعري أشخاص ، وصور واوصاف ، رأيتها كلها في الاماكن التي عشت فيها .

كان دروسينس عضواً في الاكاديمية اليونانية وتوفي سنة ١٩٥١

قابين وهابيل

لقد جُنّ فيك الحسد ، حسد أخيك ، لان دخان محرقتك لم يتصاعد الى السماء ، فرفعت يدك الظمأى الى الدم ، وأهويت بها على اخيك، فاذا به يسقط جثة هامدة ، وضحية بريئة ! أين هو اخوك ياقابين؟ احسبت انك اقصيت الوداعة من الوجود ؟ أم أنك محوت منه جمال طلعة اخيك الحبيب الى الله ؟ الم تر كيف ان الارض قد شربت دمه ، وكيف امتصته الغابات والحقول ؟ اولم تر كيف انه لم تضع منه قطرة واحدة ؟

عش ماشئت ان تعيش ياقابين، فها هي ذي يد الله قد ختمت عقابك فوق جبينك . تلك هي هدية الحياة التي آثرتها ! ماأظنك قتلت اخاك، وجماله يزهر في كل ربيع ، ويثمر في كل صيف ،وهكذا قل في وداعته التي ستخلد الى الابد .

هاهو اخوك ياقابين ! ان يدك اعجز من ان تقتله ، ومع ذلك فانك تحاول عبثاً ان تثير صراعاً عنيفاً من ثورة الريح الصرر بثلوجها وصقيعها وسيولها وزمهريرها . انت اعجز من ان تمحوه من

الوجود ! ان اخاك سينبعث مرة ثانية الى العالم لانه كان جميلاً وصالحاً. ولسوف يرتفع دخان ذبيحته الى السماء ، ويكون مقبولا امام عرش الله.

من انت أيهذا الآدمي ؟ سأل الشيروفيم الواقفون على باب الفردوس ، الحاملون القوات النارية . وراءك ! نحن حَرَسَةُ باب الفردوس . لن يمر آدمي من هنا . ولن يسمع احد من بني الزوج الاول المطرود من الفردوس لعصيانه وتمرده على إرادة الله إلا هذا الجواب : « وراءك » .

أنا هابيل ... ردد هذا الصوت جوق الملائكة . إنه هابيل .. إنه هابيل .. الراعي البريء الذي قتله اخوه اذا أعماه الغضب . هابيل الذي ارتفع دخان محرقته ، وقبل لدى عرش الملكوت ... وراءكم يامواليد حواء ! هكذا جلجل صوت الشيروبيم . الى خارج الباب .الى خارج الباب !

ان جريمة والدتك تثقلك ياهذا ، وباب الفردوس موصد في وجهك ..

وقف الاخ المقتول ينتظر . لقد كان اول من وصل فكان عليه ان ينتظر زماناً طويلاً . لقد انتظر طويلاً ، وطويلاً جداً ، حتى كان

الصباح الذي انشق فيه الكون ،وأنَّ الفردوس وجزع ،وإذا السيرافيم يهبطون بقوامهم النارية ، وجوق ملائكي يرتل :

لقد انفتح الفردوس . لقد انفتح باب الفردوس امامك ياهابيل واشتريت جريمة امك . لقد اشتراها ذاك المعلق على خشبة الصليب فدخل هابيل وكان اول الداخلين .

النبع

ان عقلي يتجه نحوك . ليل نهار ، دائماً وابداً ، يتجه نحوك ايها النبع الحبيب المتدحرج من سفح الجبل الى الحقول . كم من مرة سمعت خريرك في وسط اضطرابات الحياة ! ورأيت انسيابك صافياً وسط ظلمات العالم وويلاته ! كم من مرة استنشقت عطر أريجك بين ولولة الريح الخناقة وانينها ! ايها النبع الحبيب العذب . انت بصفائك البلوري ، وبصوتك الفضي ، وفي اغاني مياهك ، ترديد لقهقهاتي البريئة ، وترجيع لاهازيج صباي . ايها النبع العذب الانيس . كم ضحكنا أنا وأنت! وكم غنينا .. ولا أدري من غنى وضحك اكثر من الآخر؟ إني اراك تنحدر من القمة الى الاعماق ، في طريق حفرتها بعد تعب شديد ، بين الاعشاب الكثيفة تحت الاشجار العالية ، وكنت تسيل الى المروج

الواسعة الغنية وهناك رأيتك تمشي وئيداً ، وفي قلق وانزعاج ،وشوق لتصل الى هدفك . أيها النبع الحبيب : ان الطريق التي تجتازها اجتازها انا ايضاً . اما اشواقي وآمالي فتقودني الى ابعد من هدفك ، اني اشعر برائحة الطيوب التي ضوعتها ونثرتها في كل مكان بانسيابك الذي اشاع الحياة في الاعشاب والزهور . ايها النبع العذب! ان الربيع قد تفتح في نفسي ، وكما انك عطرت الحياة هكذا تعطرت حياتي .إني اراك واسمعك واحسك . انك تسلك الطريق ذاتها من القمة الى الاعماق ، فما غيرت طريقك قط . اما انا فلست كما كنت اولاً فوق القمم ، وليس في وسعي ان اتبع طريق حياتك . لقد سرت معك فيما مضى في طريقك المنحدرة اما الآن فليس بامكاني ان اصعد الى علِ أيها النبع العذب الحبيب .

أمي

لاتموتي ياأميمة . يجب ان تعيشي ، وتعيشي طويلا . ان مارأيته في هذيان مرضك لم يكن حلماً كاذباً . كلا ! يجب الا تتصوري ذلك كنت ياأماه على شفا الهاوية ، وكنت انا الذي طوق عنقك بيدي فمنعت سقوط جسدك في الهاوية . لقد جذبتك ياأماه بكل قواي ، جذبتك الى العالم لاني لم ارد ان تموت شبابي . يجب ان تعيشي لئلا اموت .

امي ... ان قلبك يجب ان يحتفظ بذكراي ، ويجب ان تكون هذه الذكرى مشتعلة في احشائك فلا تخنقها . وبمحبتك التي لا تنطفىء ، اوقدي جذوة حياتي المنطفئة . ان حياتي مرتبطة بحياتك على الارض ، فموتك موتي ، وحياتك حياتي ، فسأحيا وان ضم التراب البارد جسدي المائت . لن اموت يااماه مادمت انت على قيد الحياة ، تقاسميني آلامي ، وما دمت ازورك في غرفتك الحزينة واسند رأسي على وسادتك ، فاذا مامت يااماه ، فاني ابداً مائت مادمت بعيدة عني ، فاذا مت يااماه فقدت كل شيء . ومات في حنيني ، مات في حنين الشباب الى الحياة .

الى باللاسى

لقد انطلقنا معاً . لقد انطلقنا في طريق واحدة وكنا رفيقين . انطلقنا عند بزوغ فجر الفن الجميل . ودار الزمن فارتسمت معالم الطريق ، طريق فاصلة بيني وبينك . نشدت انت الجمال وسط الامور الجليلة ، ونشدته انا وسط الامور الوضيعة . عمل ازميلك في البرونز والمرمر ، وتركت لازميلي طين الارض وترابها . صعدت الى اعالي قمم الاولمب المكللة بالثلوج ، وزحفت انا فوق السفوح المزروعة بأشعة الشمس . كانت عرائس شعرك سيدات اميرات وكانت عرائسي راعيات

صائدات للأسماك . لقد اخذت بأناملك اغصان الغار وحكت منها اكليلاً لرأسك ، وقنعت انا باكليل من اعشاب الغابات .

رحيلُها

سيري فقد انطلق الفجر يترسم خطاكِ . سيري فالصبح الغني بالندى تهيأ ليسكب قارورة طيبه فوق جبينك ، لقد مال القمر عن طريقك وترك اشعته فوق خد الصباح ، وبقي النجم العاشق يغامزك بعينيه الذابلتين ولمّا رآك لاتعيرينه انتباهاً ، خنق ابتسامته وغاب بين اهداب كآبتها .

سيري فخيالي عبر الطريق التي ستجتازينها ، عبرها بعد أن فرشها بالزهر وعبّأ قُرَب النسيم بالشذا ، وحوم حالماً في فجوات النور ، ورماكِ ، وانت لاتعلمين بالورد المعطر ، فكنت تشمين شذا طيوفي المحومة فوق مرابعك .

سيري ، فالكرى لم يعرف طريقه الى عيني . سيري فالليل يقف خاشعاً امام خشوعي . سيري فالقمر نام شعاعاً على جبيني ، وفضةً على شعري ، وحبيباً على ساعدي ، واغنية على شفتي ، وفيضاً من الضياء غمر جسدي ، وعندما داعبت جدائل انواره ، أحسستُ بجدائل

شعركِ بين يدي . وعندما مسحت اشعته بيدي ، انعكس الضياء على قلبي ، فرأيتك في داخلي حياةً تجري مع دمي ، وتخفق مع قلبي، وتغني اغاني شوقي ، وتعزف على ناي وجدي نغم الحب الخالد .

سيري ، فطريقك دائماً غير طريقي ،وإن يكن طريقنا في الحب واحدة . أنت تجتازين طريق الحياة كما لا تريدين ، طريقاً ينعصر فيها قلبك ويتمزق . فأنت كمن يشرب كأس العلقم مفتشاً عن نقطة من العسل . عذاب ان يعيش الانسان في مكان ، وقلبه في مكان ، وان تكون روحه في عالم ، وجسده في عالم آخر ، وان يحلم فلا يحصد إلا الخيال من احلامه . ولولاه ، لولا هذا الخيال لتحولت حياتنا الى نفايات ، ومستنقعات تعمرها ديدان الحياة ، وتحوم في جوانبها غربان نهمة عطشى لروائح الجثث العفنة .

سيري ، وطيري ، وحومي ، وانطلقي . قد يلفكِ شعاع ، وتخفيك غيمة ، وقد تحملك عاصفة ، وتصفع قلبك ريح جنوبية ، فيتحجَّر تحت وطء الصقيع . قد يحدث كل ذلك إلا ان شيئاً واحداً لا يمكن ان يتغير . هناك في اعماق الوجدان ستبقى ذكرى تتحرك دون ان تدري . ذكرى حب عميق ، حب انسان أيقظ فيكِ عالماً دفيناً ، وحرك جوانحكِ نحو الاجواء القصية ، وفتح عينكِ على الافق ، افق الحب الخالد .

عودي فالطيور لجمت ألسنتها تنتظر عودتكِ لتغني . عودي فبراعم الزهرة أطبقت أجفانها بانتظار شمسك الدافئة . عودي ،فالفجر الذي حملكِ ينتظر عودتكِ ليضمكِ . عودي فالليل قد طال ، والقمر تعب من منادمتي ، عودي فأنا مشتاق للصبح . عودي .

يمر النهار ، وروحي في عذاب ، ويقبل الليل فتضغط الظلمات صدري . ولولا هذه النجوم الساهرة . لولا انسها لكان ليلي سهداً معجوناً بالمرارة النهاشة . عودي ان ضلوعي تحن الى ضلوعها . عودي فقلبي يشتاق الى قلبه ، وإذا عزت العودة ، وطال البعاد ، فوشحي هذا القمر وجمليه بجمالك ، واعزفي على اشعته أغنية حبنا ، ليوقعها القمر في قلبي نشيداً ساحراً يرقص له ترجيعاً لانغام حبكِ العميق الساهر في الالم، والعائش في اعماق الوجدان . عودي .

فالاروتيس

ولد الشاعر فالاوريتس سنة ١٨٢٤ . درس في ايطاليا وفرنسا وسويسرا . ساهم في الحياة السياسية وكافح في سبيل وحدة وطنه المفكك . نظم الشعر في سن مبكرة ، وكان دم أجداده يجري في عروقه ، والذكريات الغابرة كانت تزداد في ضميره ووجدانه ، ذكريات ماض مجيد غني بالكنوز الروحية ، وبالكفاح في سبيل نصر مثاليتهم ، في سبيل حرية غرست شجرتها في تربة الحق . كان وطنياً صوفياً ، وكان رومنطيقياً وقد اتجهت شاعريته نحو تمجيد وطنه ، وجعله حياً في وجدان الامة ، واظهاره على صورته الحقيقية وما هو عليه ، بسبب استعمار طويل ، حوّل ما فيه الى رماد رطبه الخنوع الطويل . اتجهت شاعريته الى ايقاظ النفوس المكبوتة تحت مطرقة الظلم ، والالهاب تلك الجذوة الهاجعة تحت الرماد ، ولتحويل المشاعر الانسانية المخنوقة على مضض الى عاصفة هوجاء ، تقتلع الظلم من أساسه، وتهز كيان العبودية هزاً ، العبودية الرابضة فوق اكتاف هذا الانسان المشلول ضعفاً ، والمظلم فكراً ، والمربوط الخيال في أوتار عالم يفكر في الظلمة ويتخيل في القيود ، ويشعر بين القبور الضاجة برائحة الجثث البالية .

لقد قال فيه أحد الشعراء : « ان البلبل لم يمت . انه يعيش أبداً . لقد استبدل بجناحه جناحاً وطار ، ولكن صوته ظل أنيساً لا يتغير » . بقي ثورة وعنفواناً وتمرداً على أوضاع الطغيان التي جعلت من الانسان مطية تئن تحت كابوس

الاهواء الانسانية الجامحة المهتزة طرباً للأنين ، لانها أنين لصراخ النفس المعذبة في حريتها .

ان الفجر يطل من وراء جبال بندو . انه الفجر الذي يريده لوطنه . انه يحمل قارورة من الندى يرش خطواته بهذا الدمع الضاحك . البحيرة تنام في السكون وبلاده تتجه نحو هذه السكينة الناعمة ، وعلى شاطىء البحر يدمدم الموج في آذان الزبد كأنه لهاث على شفتي طفل يتنهد . كان الشاعر رومنطيقياً حتى في شعره الوطني ، وقد حورب اتجاهه هذا بسبب معاداة العصر للرومنطيقية .

كان الشاعر من طبقة النبلاء الاشراف ، وكان يحس مع الشعب ، ويشعر أن هذا الشعب خلق ليحيا ، لا ليموت على مذبح المطامع والشهوات . وقد عمل كثيراً في سبيل الشعب، وبلغ الى مراتب كبرى في الدولة . ولكنه عندما رأى تطاحن الاحزاب ، ورأى أن الوحدة الوطنية التي يسعى اليها تصطدم بمنازع رجال السياسة اعتزل وانقطع للشعر . مات سنة ١٨٧٩ .

موجة وصخر

قالت الموجة العاتية القائمة لصخرة الشاطىء : أيها الصخر افسح لي المجال لأمر ، افسح لي المجال ، فصدري الذي عرفته بارداً ميتاً ينفتح الآن بريح جنوبية سوداء ، وتعشش فيه زوابع حالكة ، لم يعد الزبد عربات حرب ، ولا الهدير الاجوف سلاح المعركة . إنها انهار من الدم تجري في اعماقي. لقد صيرتني لعنات العالم وحشاً ، العالم الذي قال الآن: إنك ستنهار أيها الصخر العاتي . لقد دقت ساعتك. عندما كنت آتي إليك ، على مهل ، خائفاً جزعاً ، وكنت اغسل أقدام طغيانك وانشفها بلساني ، عندما كنت عبدة تحت اقدام طغيانك كنت تنظر الي بخيلاء ، وكنت تدعو العالم لرؤية مذلتي وحقارتي ، وللتشفي من زبدي المسفوح أشلاء حطيمة . يالله الصخر المسكين ، ان قبلاتي كانت تنحت اقدامك ، وكنتُ ، نهاراً وليلاً ، أنهش من جسدك الصلد ، وكنت افتح الجراح العميقة في جنباتك ، واغطيها بالأصداف ، واوسع لك القبر في الهاويات السحيقة . هيا انحنِ ! هيا انظر اساساتك القائمة في اعماق البحر . لقد تحولت الى رمالٍ تتكدس على الشاطىء ، وجوفتك تجويفاً لا يقاوم

زأرة العاصفة . إني سأدوسك . سأدوس عنقك بقدمي . لقد استيقظ الاسد . كان الصخر نائماً ، وكان يختبىء في الضباب ، وكان صدى التهديد المخيف يتجاوب في اذنيه . كان يسمع ترجيع الصدى المرعب ، وكان يغط في نومه . وكمن فقد انفاسه . استفاق جزعاً خائفاً . ماذا تريدين أيتها الموجة ؟ أراكِ تهددين وتتوعدين بدلاً من ان ترطبي حرارتي وتدغدغي أحلام نومي بأناشيدك ، وتغسلي اقدامي بمياهك الباردة ، وتعقدي زبدكِ الابيض هالة لمهابتي . كوني من تكونين ، واعلمي بأني لن اموت بسهولة .

أيها الصخر ! إني انا الانتقام . لقد سقاني الزمن المرارة والاحتقار وربيت في احضان الالم ، كنت في سالف الايام دمعة ، وها أنا ذا الآن بحر واسع . هلم اسجد لي ، ففي احشائي لاتوجد اصداف . إنني أجر غيوماً من الارواح . إني اجر اليك العقاب استيقظ ان ارواح الجحيم تطلبك . لقد جعلت مني خشباً للاسرة ، وحملتني احمالاً ثقيلة من المهانة ، وطرحتني على شواطىء غريبة ، وجعلت احتضاري سخرية العالم وحفرت على اقدامي كل احسان الدنيا . افسح لي المجال ! افسح ايها الصخر . لقد انتهت السكينة ... أنا الكأس الطافحة . انا العدو العاتي ... انا جبار ينتصب امامك .

لقد جزع الصخر . والموجة في اندفاعها الكاسح، جرفت هيكله الاجوف ،لقد غاص الجسد في اللجة وانطفأ وذاب كأنه قطعة من ثلج، وهدرت الموجة في عبورها الظافر ثم سكن البحر . لقد خيمت السكينة فوق ذلك المكان ، ولم يبق هناك غير انغام الموجة الهاوية ، وغير علم سماوي ، يخفق فوق اللحد العميق .

أمي

يا إلهي ! اليك صلاتي من اجل امي . إجعل اللهم محبتك لها اكثر عمقاً واتساعاً ، اجعل طمأنينتك في أعماقها، واسكب بهجتك على جراح قلبها فهي لها كالبلسم . أيتها الام الحبيبة، أيتها القطرات السماوية يا أمي .ان الاحلام الخادعة ، والحيل الماكرة ،لا تعكر صفاء وجدانك. تسهرين منحنية ليل نهار على الواجب ، وتسمعين صوت الازل في تمتمات أصواتنا يدق . يا لنقاوة روحك ! إنك تستطيعين ان تخاطبي بنقاوتك الكائنات التي لا تتكلم . لا تهزك الاكاذيب ولا تغيرك الاحابيل التي يحيكونها .

إن حنانك عظيم يا أمي ، انه أوسع من الكون ، من يستطيع ان يقرأ أعماق قلبك . ان حنانك كأشعة الشمس إشراقاً وبهجة . انه يقود الى الملكوت الذهبي الساحر . ان لمسة واحدة من أناملك المخملية

تبدد كل عالم الاحزان ، وتشفي اوجاع قلوبنا .يالعذوبة قبلاتك !قبلاتك الحارة التي تحتضن أحلامنا البريئة ، وتلملم ندى مناجاتنا الرائعة . إنك أيها الملاك ، تنحنين فوق السرير ، وتبسطين جناحك الملائكي كظل حريز . كم تتألمين عندما تتقلب فوق السرير ، سرير الآلام ، وكم من الافاعي تمنطقك عندما نقع في المخاطر . كم مرة مزقنا قلبك بسهامنا . وكم مرة رفعنا في وجهك أيدينا الملوثة بالدم . كم مرة رفعناك على خشبة العذاب ولم تبنسي بكلمة ، وكم مرة بكيت في جلجلة عذابك القاتم شبابنا الضائع في الاوهام . عنك اخذنا كل شيء ، وبايمانك ربينا . وفي اعماقنا وضعت حجرة ذهبية لمسّاعة تجنح احلامنا . أين وجدت كل هذا الحنان ياأماه ؟ أين وجدت كل هذه المحبة ؟ ان يد الله قد أنمت هذه الزهرة العطرة . أماه لقد جلست على أسمى عرش ، وستكونين دائماً عديمة الفساد ،ولن يقوى الزمن على مجدك . إنك تحملين الاله في احضانك . وان حضنك اوسع من الكون ، وأفسح من السموات لانك تحملين عمقها واتساعها في أعماقك .

الناقوس

اعصفي ياريح الجنوب ياريحي ... اعصفي ليأخذ شراعي مداه ... اعصفي فالمجاديف أدمت كفي ، وأحرقت اصابعي . اعصفي وثوري

فشفتاي تتثاملان من المياه المالحة ، وأنفاسي تتصرّم .

إن بحراً لا يموج، شبيه بعينين سماويتين لا تترقرقان بالدمع ، وبقلب لا يرقص للحب ، وبأملٍ مريض . إنه شبيه بمساء لا ينتهي بصبح ، وبمحبة لا تدغدغها الاحلام ، وبجبل لا تجلله الثلوج ، وبشحرور لا يغرد، وبطائر لا جناح له .

اعصفي ياريح الجنوب ... لن اراها . قالوا إنها مريضة، أخاف ان افقدها ، أهي غيمة تعبر ، أهي موجة تنطفىء ؟ هل اصبح العالم قبراً لقلب يعصره الحب! صم هي البطاح ، بكم هي الجبال . رحمةً ياريح الجنوب ، رحمةً بي !

البارحة عندما ودعتني والدتي على الشاطىء ضمتني الى صدرها ، وقبلتني برقة وباركتني وقالت عد سريعاً يابني .عد إلي وحيدة . فياريح الجنوب . أين رحمتكِ ياريح الجنوب . ان والدتي تنتظر إنها عجوز مسكينة يقتلها الانتظار .

ان يديّ تتحركان في ملل مرهق ، والمجاذيف تصافح البحر مصافحة الميت . وتذهب تنهدات الملاح البائس فوق المجاذيف لتستقر في اعماق البحر . البحر ينبسط في سكون كانبساطة الرخام فوق الضريح . إنه يتأمل القارب الساهي فوق سريره الهادىء، يتأمله زاحفاً

كأنه طفل يحبو ، فيعبر كما يعبر الحلم في سكينة ساحرة . إنه لا يتحرك ولا يستفيق مخافة ان يتجنح الشراع فيطير القارب الثمل .

كان الليل جميلاً . كان كأرملة تزوجت حديثاً ، لا يثيرها شيء ، ولا تطلب شيئاً . العيون ترنو . إنها عيون مجبولة بالنقاء ، ومفروشة بالحب ، والارملة لا تتحرك ، ان الفضاء المزروع بالنجوم لبس لباس زينته . والقمر المشع ، يغريها بخواتمه وبالزهور والندى ، والارملة الساكنة تستمر هادئة . ان شجر الصفصاف يمد اغصانه الندية بكبرياء ، وتبسط السروة السوداء يديها كأنها تريد ان تعانق الليل الجميل ، او كأنها تريد ان تمسك شعره بأناملها ، والليل في صمته غارق في شوقه لشمسه الشقراء التي لا تحبه ، يرمي بنظراته نحو الجبال والآكام ، ونحو الشاطىء ، ليرى الشاب الفخور ، فيرى البنت ذات العيون السود ، ويرى ملاّحها منحنياً فوق المجاذيف يتنهّد ، إن القارب ساكن والحظ مقيّد .

كانت الدموع تتساقط فوق خد الملاح ، وكانت احياناً تسقط في البحر الهادىء ، وكانت اللجة تبتلعها وتقذفها الى الاعماق . وعندما كان البحر يثور ، والهاوية تزمجر ، كانت الدموع تهمي وسط الزبد . قد تكون الأم على الشاطىء بانتظارها لتلمها من بين الرمال وتشم عبيرها .

لقد رآه الليل باكياً ، فمد الجناح ، وأخذه الى حضنه الهادىء. ضمه الى صدره برفق وضمّخه بالندى ، ومسح بأنامله دموعه ، وجعل من احلام شبابه وسادة لرأسه ، ومن آماله السرية فراشاً يفترشه ، وبعد ان مسح أجفانه بالكرى ، انحنى وقبل أهدابه التي كانت تعاني سكرات الموت ، وكانت كجناحي طائر ترتفع وتهبط في ارتفاع من النشوة العارمة .

وقد حلم الملاح ان محبوبته كانت تقبل اليه محملة بالقُبل ، وكان يبتسم في حلمه . لقد سر الليل بهذه الابتسامة فلاطمها وزين بها صدره ، وهب على مهل ، مخافة ان يوقظ النائم ، وغادر المكان متجها الى مخبئه وكان كلما خطا خطوة ، عاد فألقى نظرة على الملاح الغارق فوق سريره اليتيم .

انبلج الفجر ، وأخذت الطيور ، تنشد أناشيدها وسط الغابات ، وسمع الملاح صوت ناقوس يدق في حزن دن ... دن ... ماذا حدث ؟ لقد تنهد ... ان الاصداء تتراجع في الغابات ، وتتردد في الفضاء . كان القارب جامداً لا يتحرك ، وكانت أشرعته تتململ ، وساريته تئن ، وحباله ترتجف . وكانت مجاري المياه كالمرمر ، وكان صوت الناقوس يتابع أنينه .

ان قلب الملاح يتمزق في داخله . كان تائهاً بين احلامه وامانيه. لقد مد أهدابه ، اجال عينيه ، وتخيل انه يسمع شيئاً . انه يضطرب . انه يحن . لقد سكت الناقوس ، وخيم سكون . لاصوت يسمع سوى خفقات قلبه بين جنبيه . تُراه حالماً طار كما يطير العصفور ؟ تراه نسيماً دلف من ثغر الفجر ، ونفخ في شعره الاشقر ، قبل ان يستفيق ، هذه القشعريرة التي يحسها ؟ لقد لاحت الشواطىء وخلجانها ، وبدت القرية ببيوتها البيض ، كان ينظر عمد الدخان المتصاعد من سطوح المنازل ، وكانت فرحته تريه كل النوافذ مفتوحة ، وقد منعته فرحته هذه من ان يرى ان هناك بيتاً ، أقفلت نوافذه ، واختفى من سطحه العمود الكثيف ، عمود الدخان الاسود .

كان الملاح يجدف ، وكان القارب يطير ، والملاح يعتقد ان القارب لما يزل في مكانه . كان يدفع المجاديف الى الاعماق ، فيتكسر البحر امواجاً تحت عنفوانها ، وكان الملاح ثابتاً في اعتقاده ، ويقينه ان القارب لايسير . فيقفز الى البحر ، وفي عزم يندفع تاركاً وراءه الزبد المسفوح تحت عزم ساعديه . ان الامواج للملاح فرحة وأمل . كان يسبح كأنه حوت بحري ، وكانت آلاف من الافكار تمر في خاطره كأنها تمر آخر مرة انه يتذكر السباحة ، يتذكر ذلك اليوم الذي جاء فيه

مع امه الى ذلك المكان . يتذكر ذلك اليوم العاصف الذي استقبل فيه والده ، يتذكر نداءه ، ويتذكر كيف انحنت امه وجذبت جثة والده من الرمال . يتذكر دفنه تحت تلك السروة السوداء التي تلوح له من بعيد . يتذكر كيف ذرفت الابنة الفقيرة الجميلة دموعها عندما وارى والده الثرى . لقد تحابا طفلين ، وخطبا على ضريح والده . يتذكر حبه ، يتذكر أحزانه ، فتختلط كل هذه الذكريات في خاطره . ان امواج الشباب التي تتوج رؤوسنا بأكاليل الزبد تنطفىء وتتبخر كما يتبدد دخان البخور فوق القبور .

بينما كان الملاح يصارع ليصل ، بينما كان يكافح ليقبض على الشاطىء بكلتا يديه المرتجفتين ، لاح وحش بحري دن .. دن .. صوت الناقوس . ان رأس الوحش يقترب ، والملاح يجدُّ في كفاحه وصراعه . كان الوحش يطارده ، وكان الملاح يصارع القدر . دن .. دن .. صوت الناقوس الحزين ، لقد قبض الوحش على الفريسة ، فسحق عظامها وتخضب الموج بالدم . لقد ضاع الملاح وبقي البيت مقفل النوافذ .

أماه

أمّاه ! افتحي لنا قلبك الخالد ... احتضني اولادك المساكين ،

ضميهم الى صدرك عراةً عزلاً كأنهم مجرمون مغلوبون . باركينا ، وبقبلة من قبلاتك الحارة ضمدي كل جرح من جراحنا . لانريد شيئاً نحن الممرمرين . أجل اننا نريد ان نرى دمعة فوق أهدابك . نريد ان نسمع صوت وقعها فوق أجسادنا . نريد ان نكتوي بحرارتها . نريد ان تدخل آهاتك الى أعماق احشائنا لتتجرح كأنها تجرّحت بسيف ذي حدّين . نريد يتمك . نريد ان تصفعنا الاهوال والمصائب التي صفعتك . لقد كنا هزء الغرباء . لقد كفتنا سخريتهم .

مرت سنون لاعد لها . أجل ياأماه . والى الآن لم يتمكنوا من خنق روحنا الداكنة المقفرة . ان الذئاب لم تتمكن من مص آخر قطرة من دمائنا ، وكلت شفاهها النهمة وهي ترضع ، فتركت الجثة وفيها نقطة صغيرة من اللبن ، وحول هذه النقطة كانت تدور احلامنا وأماننا . لقد سقيناها بالشوق فنمت . إنه كنز عاش وربي بالآلام هذا الذي نحمله اليك ياأماه !

انظري الى جباهنا كيف جعدها الالم ، وثلمها الهم . انظري كيف غرقت عيوننا في الظلمات حتى كادت تنطفىء . لقد رأت عيوننا ذبح سولي ورأت أحشاء البطل بلاشي تتمزق بأيدي المجرمين السفاحين ، ورأت أجساد الابطال متروكة في العراء ، تحت أشجار الدلب والصنوبر

تنهشها الغربان . رأت احتراق كونكي ، رأت دخان جسده يرتفع كأنه غيمة ، كأنه سروة سوداء نبتت من الرماد لتندبه وترثيه . رأت السفاح يأكل العظام ، ورأت شدقيه المفتوحين على الفريسة ، رأت السفاح ينشب أظافره في الحسناء بارغا ، ويلوك بأنيابه جسدها الناعم . كنا ننظر الى الافعى المخيفة صامتين، وكنا نسمع نحن الجبناء طاحونة الوحش تطحن بشراهة الجسد البريء وتبتلعه . قولي ياأماه، قولي لي متى ستبعث الحسناء بارغا ؟

في الساعة التي اشتد فيها ساعدك ، رأينا سيفك كأنه قوس تامع عندما رأينا نحن الممرمرين شواطئك المقفرة ، ورأيناك تتآخين في الليالي مع العاصفة ، عندما رأيناك تشدين حقويك بنار الصاعقة ، وتركبين البحر كأنه جواد ، عندما رأينا غضبك يعصف ، عندما رأينا نحن هذا العالم الفاسد المهان العجوز ، ثارت أحشاؤنا الخامدة، واتقدت أعيننا المنطفئة ، وخفقت قلوبنا الهامدة لدقات قلبك ،فسفكنا دمناحتى مزج بدمك فغلبتِ وغلبنا .

لو عرفت كم دفعنا حتى بعثت ! لو عرفت مافعل بريق سيفك! لو عرفت كم دفعنا ورفسنا ، وخربنا وشنقنا . لقد سموا الأثداء حتى

يرضع الاطفال الموت ، وسقوا الامهات كاسات المرارة ، وعدوا علينا قطع الخبز مخافة أن تفلت كسرة واحدة لغذائك أنت . ان أشواقنا وأرواحنا ودموعنا من أجلك جريمة .

لم تكن لحياتنا حلاوة ، لم يكن لها أزاهير . لم يكن للربيع بهجة ولا للطيور أغاريد . كانت الايام تمر سوداً . لن نراك بالقرب منا ، كنا نشعر بالشعلة الكامنة في اعماقك ، مددنا لك أيدينا ، فعانقينا ياأماه . حوطينا بذراعيك . لفينا في شغاف قلبك . كل شيء يظهر كالحلم ، والقريب يأكلنا بعيونه الحاسدة ندماً ، شدينا الى أحضانك ، ان المحبة تفتش عنك والابناء يحملون صلبانهم على اكتافهم ، وفي أيديهم قطع من خبز الشعير ، ويقطعون الطريق الطويلة .

لقد شبعت الأم من رؤية اولادها ، وكانت تحفظ كل الآلام في قلبها ، لقد تغيرت الاوضاع . فالابن يعانق أمه ، وارتفعت القبلات الى مافوق الغيوم فتعمدت بالبروق ، وحملتها أشعة الشمس ، أشعة آمالٍ نيرة . مبارك هو اليوم الذي وجدنا فيه صدرك ياأماه . أيتها الأم المعذبة . يابلادي .

الشقراء

يعجبني البحر لانه يشبهني . سمعتك تقولين همساً . يضطرب

احياناً ويزمجر ، ويئن ، وأحياناً يلعب طروباً ويقهقه . أليست شقرة البحر كشقرة شعري ؟ أليس بياض زبده كبياض صدري الناصع ؟ يعجبني البحر لانه يشبهني ، وإن كان قلب البحر مليئاً بعالم من الحيتان . أليست في قلبي أعشاش من الحب النهم ، أليست فيه نيران كاوية ؟ لقد كنت أطرب عندما كنت تجرعين نفسي المرارة وبدت أنفاسك الملتهبة الفوارة على شفتيك كأنها مرجل يغلي ، لقد اطفأت مرجل نيرانك بقبلتين ، ودفنت وجهي في شعرك ، وحبكت على عاج صدرك عشاً سرياً . ياموجتي الثائرة ، كفى يانفسي . لاتقطبي جبينك ! هيا ارقدي ، ارقدي هنا فأنا لك ميناء هادىء . وما قيمة البحر اذا لم يكن للبحر شاطىء ؟

سولوموس

ولد الشاعر ديونيسيوس سولوموس في جزيرة زاكنتوس في بلاد اليونان سنة ١٨٩٨ . سافر الى ايطاليا سنة ١٩٠٨ للدراسة وكان يتكلم اللغة الايطالية لان أكثر سكان الجزيرة يتكلم هذه اللغة مع اللغة اليونانية . درس في المدارس الثانوية والجامعية ، ونال شهادة في القانون . وأخذ يكتب في المجلات الادبية . واتصل بالأدباء والشعراء . وكانت تربطه بالشاعر الايطالي الشهير مونتي صداقة ومودة . وقد تأثر بالشعراء الايطاليين وكان ينسج على منوالهم . ولكنه ، أخذ يتحرر رويداً رويداً من قيود الشعراء ليكون لنفسه شخصية شعرية مستقلة . وكان ، كما قال الشاعر مونتي ، يؤمن بقوة العقل ، ويعتبر أن العقل مصفاة لمشاعرنا وعلى الشاعر أن يعصر عواطفه عصراً حتى يبقي منها الخالد . وأكثر شعر سولوموس مكتوب باللغة الايطالية .

بعد أن عاد الشاعر الى جزيرته ، كانت شخصيته قد تفتحت وتبلورت وكانت جزيرته مصنعاً للشعراء المجيدين . فالطبيعة فيها جميلة ، والمشاهد توحي ، والبحر والسماء تتعانق آفاقهما أمام أعين المواطنين ، كل هذه اذا أضيفت الى الى طبيعة اليوناني الروحي ، تستطيع أن تعطي لوحة تتكلم فيها النفس مع روح الجمال الكامن في الطبيعة بالاضافة الى محبة الانطلاق في عالم حوّمت فوقه شياطين الأولمب وعرائس البحر ، وجنيات الفكر ، فسولوموس ابن هذه الجزيرة النائمة على حداء الموج ، وحداء الموج مدّ حر ، وجزر حر . وحركة

البحر الدائمة صورة لما فينا من محيطات تموج بالفن والجمال وبحور تعصف فيها الأهواء ، والكل يعمل لسكينة عميقة بارادة حرة . كان سولوموس شاعراً مجيداً. وكان يهتم بالتقاليد الوطنية الموروثة . كانت تهمه الاغاني الوطنية ، والاهازيج القروية والعادات الدينية . وكان يقول ان هذه الاغاني هي عصارة أجيال من الارواح . هي تجسد لمثالية نؤمن بها ونعمل من أجلها . لذلك يجب أن نحييها تراثاً تاريخياً يعيدنا الى أصالتنا المثالية . لذلك نرى الشاعر يغرق في درس الاغاني الشعبية ، مستخلصاً منها روحاً قومية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعالم التاريخ القديم ، وبالأمة التي اعطت روحها هذه الاغاني وهذه التقاليد الدينية والاجتماعية الموروثة .

كان سولوموس شاعر الثورة ، شاعر الاستقلال ، شاعر الكفاح . كان ناراً مضطرمة . كافح ، وجاهد ، ونظم ، وغرد ، وطار على جناح الحرية ليستخلص من قلب الحرية نشيده الخالد للحرية ، النشيد الذي أصبح نشيداً وطنياً ولمّا يزلْ . « أعرفكِ أيتها الحرية أعرفك من حد السيف الناطف دماً يستصرخ عظام اليونان ، وقد نخرها الذل » .

كان سولوموس يكتب بلغة الشعب لأنه لم يكن يعرف من اليونانية غير هذه اللغة . ولكنه بعمله هذا فتح الطريق أمام رهط كبير من الشعراء ، لا بل حول الشعر تحويلا جعله ينبض بحياة يفهمها الشعب ، بقالب شعبي يخاطب بساطة القلب ، ونقاوة الفكر ، وضياء الوجدان . كان رفيقاً للشاعر بيرون في الكفاح . وللشاعر نشيد خالد في زميله الشاعر الخالد . ولكن الايام تقف للانسان بالمرصاد تترصده ، وقد وقفت للشاعر فعكرت صفو حياته ، وجعلته حزيناً منكمشاً على ذاته ، وسبب ذلك طمع أمه بثروة آله مما جعله يضحي بكل شيء ويبقى حزيناً لأن قلب الوالدة تحطم على صخرة المنفعة الشخصية .

المقبرة

الليل ترصعه نجومه ،والبحر يتمزق على الصخور بهدوء وسكينة. أما نحن فكنا غارقين في وحدتنا . في تلك الساعة ، والالم يفتح القلب ، انفتح قلبنا على قصة يتحسسها كياننا فيهتز لها متألماً . بين صلبان المقبرة سروتان متآخيتان مخضوضرتان . فاذا انتصف الليل ،وأعولت الرياح ، حسبت أن السروتين المتمايلتين تحت عاصف الريح تستصرخان الاحياء . وتحت السروتين نام ولدان نوماً عميقاً أبدياً ، ففقدت أمهما الرشد . لقد تجلبب البيت بالسواد بعد مالعبت فأس المنية في جسدين نديين فتركتهما بدون حراك ، تركتهما ، وعلى رأسيهما أكليل من الورود مجللين بثيابهما الناصعة البياض ، متعانقين في مسيرهما الى الحفرة الاخيرة ، حيث ساد صمت عميق حتى لم يعد يسمع حفيف الغصون ،ولا نسمة ندية من نسمات الريح ، بل ما كنت لتسمع حتى صوت المياه الذي كان يؤنس شواهد القبور . فكل شيء كنسته الوحدة والسكينة ، ولم يبق من أثر سوى رائحة البخور المنتشرة في المكان المقفر .

هناك في تلك السكينة المرة ، وقفت الأم ، وقد جللها السواد،

وقفت تستنشي الريح كأنها تلتمس شيئاً ، او تستذكر شيئاً . استندت الى الحائط ، وتطلعت الى بقايا النعش ، فحنت رأسها ، وكانت على وجهها مرارة حلوة . لقد تطلعت الى الغيوم ، وراقبت النجوم ، فرفعت يديها الى فوق ، وبكت وأعولت حتى تمزقت أحشاؤها . لقد كلت يداها فاسترختا إعياءً ، وأخذت تهذي ثم استدارت . لقد دارت حول الضريح ، وأخيراً دخلت الى القبة (الجرس) فصعدت على الدرج ، وقد تغيرت كل ملامحها . لقد كانت في تلك الوحدة الصامتة كأنها بدر يوزع أنواره وينشرها ، كما انتشر نور الليلة الاولى من الخليقة . ولكن المسكينة ، وقد جن جنونها ، كانت تحدق الى ماحولها ، وقد ملك الرعب عليها مشاعرها فراحت تدفع الناقوس ، وتجهر بصوت عظيم . ألا فلتهرب من الحقول هذه الظامة القاسية التي تثقل صدري ، وتظلم قلبي ... ألا فلتتبدد سريعاً لانني أضيق بها أشد الضيق ! قبحاً لها ! فهي كالأسمال الممزقة التي لفت ولدي . دن .. دن ... دن ... جرس الكنيسة دن ... دن ... أصداء الوحدة تتجاوب مع صوت الناقوس ، من قلب الوحدة الصارخة التي هي عزاء الحزانى ، رجع صوت يقول : انني احتفظ بالولدين في احضاني ، وبهذا المقياس أقيس كل يوم ضريحهما دن ... دن ... جرس الكنيسة . الترتيل باهت والشموع مدخنة . أما

خشب السرير فيرتجف ، والناقوس يواصل دقاته ببطء وتفجع . أجل لقد ماتا في وسط الظلمة وألحدا ... إنني أسمع الصوت والصدى . لقد ألحدا عميقاً ... دن ... دن ... لماذا تحفرون التربة وتذرونها فوقهما ؟ لاتغطوا هذين الجسدين الصغيرين النائمين هنيئاً . غداً سنقطف الأزاهير، وسنرتل بعض الاناشيد في أول أيار المزهر . دن ... دن ... جرس الكنيسة . لقد ردّد جرس الكنيسة نفس الاغنية ،وظل يغني حتى بح صوته بحة الموت ...

هبت نسمات الصباح بليلة الجناح ، وتمتمت تمتمات تضوع منها أريج الفجر ، وخطر فوق الأوراق والقلوب خطرات الخيال التي تصور السعادة .

أما المرأة الفجيع فكانت تطوي حناياها على الشقاء العميق ، وتحسه في أحشائها مريراً موجعاً . لقد تأوهت كثيراً، ثم نزلت، نزلت الى وحدتها ، فكانت تحدق الى القبور ، وتعدها بهزات رأسها الدالة على جرح رغيب .

الى راهبة

إن الملائكة هبطت من عرش الأب المبدع ، وغاصت في الغيوم

المضمخة بالطيب لترى البنت المتأهبة للمسير الى الكنيسة: لقد كانت تردد بشفاهها هذه الانشودة : « المسيح قام » فأشعت الانشودة كالشمس، وعلى ألسنتها أغانٍ تصاعدت من قلوب عامرة بحرارة الايمان. لقد رآها ملاك أول فقال لها : السلام عليكِ ياأختاه ! لكم تروقني هذه الصفرة في وجهك ! وإني لأرى هذه الشموع المضاءة داخل هذا الهيكل المقدس اقدس وأثمن ، في فردوس المسيح ، من كل الورود. وخاطبها ملاك ثانٍ فقال لها : مادمت قد احتقرتِ الموت ، وهجرتِ مخدع أبويكِ فلا تجزعي لأن الله قد صار لك الآن أباً وأماً .وانبرى ثالث ليقول : إن دموع اليتامى تجري دائماً في أحشاء العلي القدوس . وردّد ملاك رابع: إن التمعن بجمال الفردوس هو اعذب من كل تمعن. وقال خامس : إن زوابع العمر هائلة ، وعواصفه مخيفة ، وأمواجه لاتصل منها إلا أصداؤها ! إن العاصفة لاتبلغ هذا المكان . إن المسيح يزورك في أحلامكِ ، ولا مجال للعاصفة حيث يوجد المسيح . وقال ملاك سادس : في ذلك العالم ، عالمكِ ، تصطرع عربات الحروب ، ويشتبك السلاح ، وأما هنا فسعادة وظفر . هناك شقاء وعذاب .وقال ملاك سابع : إن العالم قد فتنه جمالك وحلاوة عينيكِ ، فكانت نفسك الملائكية وطهارة روحك دافعاً لبصيرة روحك تدفعها الى الشخوص

نحو السماء . وأطل ملاك ثامن يقول : إن الخالق صنع الانسان على صورته ومثاله وكان يدرس في معرفته السرية الخليقة لتكون مسكناً لهذا الانسان الحيوان ، إن الحب والموت يعملان جنباً الى جنب في هذه الحياة الدنيا وسيستمر العمل حتى يفقد الزمان الدائر جناحيه . يالرهبة الساعة التي فيها ينازع الانسان نزاعه القاسي ! قال ملاك عاشر : لاتخافي أن تكوني وحيدة بعيدة عن أعين الناس ، فالمسيح المتقلب فوق سرير الآلام سيصلح لك وسادتك ويعريك . وقال ملاك آخر : يالسعادة هذا الهيكل الجسدي ! إن الذي سلب منك الروح ، وترك صدرك بارداً هو نفسه سيعيد اليك الخطبة التي تمنيتها واشتقت لها . وقال ملاك آخر : لقد تعبت العظام ، أتعبها طول الانتظار في ظلمة القبر ، فهي ترتجف منتظرة بشوق ساعة الدينونة . أفيقي ياأختاه وقال ملاك آخر : إن جرس الهاوية يقرع قوياً فيرجع ملاك آخر الصدى قائلاً : هاهي عيناها تشرقان فوق سريرها في القبر . انظروا إنها تطير فرحةً تاركةً في حفرتها كل عطور نيسان وأيار . لقد تركتها في تلك الحفرة التي تركتها الى الابد . فردد جوق الملائكة : لقد أشرقت عيناها في ظلمة القبر . انظروا إنها تطير فرحة تاركة في الحفرة كل عطور نيسان وايار . لقد تركتها في الحفرة التي تركتها الى الابد .

الشقراء

رأيت الشقراء ، رأيتها البارحة ، رأيتها عندما ركبت القارب إنها ذاهبة الى غربة بعيدة .لقد نفخت الريح في الشراع الابيض . لقد نشرت جناحيها كما تنشر حمامة بيضاء جناحيها . وعلى الشاطىء وقف الاصدقاء يلوحون بالمناديل مودعين ، وكنت بينهم . لقد بقيت واقفاً على الشاطىء حتى غيبت المسافات قاربها ، واختلطت علي رؤية الشراع ، أزبد ذاك ، أم شراعها الابيض ؟ وعندما لوّح المنديل على البعد ، واختفى الشراع وراء الافق ، ونام الزبد ، بكى الاصدقاء وبكيت . لم أبكِ القارب ، ولم أبكِ الشراع ، ولـكني بكيت لان الشقراء ترحل الى غربة بعيدة .

الموسيقى

من الاعماق تتصاعد الموسيقى ، إنها موسيقى روحي ، تتفجر كالجدول ، وتنساب الى النفوس كأنها السحر . إنها سحر قلبي ، تحوم كالفراشات الحالمة العاشقة ، وتدور في مهب الزوبعة ، ثم تحط كالوحي في السهل الفسيح المرشوش بالبنفسج والرياحين .

من الاعماق تتفجر الالحان . إنها ألحاني الخاشعة في هيكل

وجودي، تتدحرج كالشلال الى هاويات سحيقة حيث يكمن سري الابدي. إنها تخرج مني لتعود الي ، كما يخرج الشعاع ليعود الى الشمس ، واللحن السكران يجدد في الروح قواها لتقف حالمة فوق الوادي المقدس .

من الاعماق خرجت روحي بثوبها الابيض النير المزركش بخيوط الفجر ورفرفت فوق الغابات المظلمة ، غابات الارواح التائهة في الديجور ، وسكبت فوق الليل نوراً اشتعل له الليل ، واستنارت به النفوس ، وهلل الكون لعرس الروح الجديدة الزارعة بموسيقاها فوق القمم أغراس النور في الاراضي العارية من الجمال .

من الاعماق يتصاعد لحن الخلود ، من أعماق النفس ليتصل النغم بالنغم ويخلد الانسان بالموسيقى الازلية .

بوليمس

ولد الشاعر بوليمس سنة ١٨٦٢ . درس الحقوق في جامعة أثينا وذهب الى فرنسا على نفقة الحكومة للاختصاص وعاد كموظف في الحكومة . قرض الشعر في سن مبكرة ، وكان يعمل مع رفقائه الشعراء بالالماس ودروسيسني لوضع الحجر الاساسي الثابت للعالم الشعري اليوناني الحديث . كان من دعاة التجديد في اللغة على أساس أن اللغة يجب أن تتطور كما تتطور عواطف الانسان وحياته ونزعاته . فاللغة تجسيد لأفكارنا واحساساتنا .

كان شعره واضحاً سهلاً . لم يعالج العميق من التفكير وكان يحب الامور التاريخية وخصوصاً الاشخاص ، وكان يعكف على دراستهم لاستخلاص التفاعلات في صراعهم المستميت بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل .

لقد عاش الشاعر فقيراً ، ومات فقيراً . وقد قامت البلدية بدفنه على نفقتها . وكثيراً ما ينتهي الشعراء الى هذه الحالة من الفقر لأنهم ينسون أنفسهم ولا يعيشون الا لعرائس شعرهم . توفي سنة ١٩٢٤

له مجموعات شعرية أشهرها : المنشد . الخطوات الاولى . الرخام المكسور . وغيرها ....

أبو الهول

ألا قل لي أيها الوحش الضاري : ماذا خبأت من الاسرار تحت لحاف صمتك السري ووراء بشاعتك الماثلة في أشكالك الخمسة ؟ ماذا خبأت من الاسرار التي تحاول أشعة الشمس النفاذ الى ظلماتها ، وتجهد الرياح لتحملها على أجنحتها الى مجاهل الارض ؟

ياللهول ! عبثاً تسائلك الاجيال ، وعبثاً تتكدس الآمال تحت أقدامك ! فصدرك الحجري لايتأثر ، وعيناك لاتدمعان ، وشفتاك مطبقتان أبداً ، تمر بك مواكب البشر خافتة الجرس . أيها الخوف ! أيها الاله المجهول ! أيها المليك الجالس على عرش القلوب . أيها القوة الذي يوسع بتضييقه دائرة العقل ، دائرة النفس كمثل الحلم للحلم ، والظل للظل .

أسفاً على الفن ، أراد ان يعطي لهيئتك اشعاعاً من اشعاعات العقل ويبرز رغبة من رغباته ، فألفى نفسة ضعيفاً بسبب ذهولك السري ! إن وحدتك وجمودك مااستطاعا أيضاً ان يعبرا عن حقيقتك ... أسرور أنت أماته الشوق أم حزن تجنح فحجّره الامل الشديد ؟

أشوق الحياة أنت أم خفقة من خفقات القلب ؟ أأنت السرور الابدي؟...
أإمرأة انت؟ من يدري ؟

اغناطيوس

كنت واحداً من الاطفال الذين احتضنهم المسيح الذي قال بعذوبة السحر : دعوا الاطفال يأتوا الي ولا تمنعوهم . إن حنانه الذي يفوق كل شيء في الكون ، ذاك الحنان الذي يفوق عطره عطر الزهور السرية في الفردوس . امتزج برفق وحنان قلبك الطفل ، فتولد من هذا الامتزاج لبن ترضعه من ثدي الامهات . لقد مات وقبر وقام .لقد كان غير مائت ذاك الذي ضمك ، وكان غير فان ، وكان زنبقة في الفردوس أزهرت إيماناً في صدرك .

مرت الايام والسنون السود المزعجة ، وكان أمر (تراجان) : من آمن بالناصري سيموت مصلوباً معذباً وهاهي رومية والرومانيون يعيدون عيد الظفر الفاني للآلهة الحجرية ، وحلبة السباق ،سباق الخيل ، تموج بالناس ، وقد علت وجوههم بسمات السرور . اقتربت الى ساحة الاستشهاد غير هيّاب ، وغير دامع العينين ، قائلاً : اقبلني يايسوع في أحضانك الالهية التي اشتاقها ، أنت الذي تجعل من الموت حياة .زمجر اسد ضار من قفصه . زمجر وهجم بضراوة نحوك وعيون الناس تسمّرت

فيك لترى كيف يتناثر لحمك ، ويتمزق إرباً إرباً . يالنعمة الله ! لقد رأيت كل ذلك كأنك في حلم . لقد رأيت نفسك طفلاً ، وتحول شكل الوحش الضاري الى جمال اتخذه من روعة إيمانك بالمسيح ، وشرار عينيه الى أشعة إلهية ، فلم تسمع قهقهة المحتشدين ، ولا ضحك الجموع ، ولا تهليلاتهم ، ولم تشعر بموتك الدامي ، ولم تحس كيف تمزقت بين أنياب الاسد الضاري ... إنه الايمان .

يهوذا

الليل مرخ سدوله ، ويهوذا يعدو في الادغال ، كأنه مطارد ، انه يدوس بقدميه العاريتين على الحجارة القاسية ، والاشواك الحادة ، يضرج التربة بدمائه السائلة من جراحه الرغيبة . ثم يقف تحت شجرة ضخمة قائمة بين تلك الادغال . لقد طال ركضه فضاق صدره باللهاث ، وربط لسانه ، ووجد نفسه محاطاً بظلمة خناقة . ماذا رأيت يايهوذا ؟ إن الشجرة أنّت بدون ريح ، وجذورها نفثت سموماً وجففت أغصانها ، وفي أعاليها غرّد طائر الليل . هذا هو يهوذا معلق في الشجرة . لقد صارع كثيراً ، صارع حتى لفظ الانفاس في ملاقاة الحتف ولكن حول مشنقته السوداء ، كانت ترقص الثلاثون من الفضة رقصة التذكير بالخيانة .

سمعان بطرس

أطلت تباشير الفجر ، وأهل رومية يغطون في نومهم الثقيل وقد أطبقت أجفانهم على احلام من نار وحريق . فالهيا كل صارت رماداً مع القصور ، وأما الطرقات فصبغت بدماء المسيحيين . هاهم رجال الحرس المدججون بالسلاح ، يقودون بطرس ، ويدفعونه الى مكان العذاب والاستشهاد خارج المدينة حيث نصب الصليب الذي ينتظره . كان بطرس مطرق الرأس ، أصفر الوجه مقيداً بالقيود يسير على مهل الى الحياة الجديدة .

تورّد وجه المشرق ، وانطفأت النجوم اللماعة الساهرة ، فابتدأت جيوش النهار تزحف وئيدة تكتنفها ظلمة تتصاعد من الاعماق ، أعماق النهر ، فسمع صوت الديك الثالث من بعيد . إن بطرس في نزاعه على الصليب يتذكر تلك الليلة التي لاتنسى ، ليلة صلب السيد ، له المجد ، وحكم بيلاطس عليه . بكى كثيراً في تلك الليلة . أما الآن فقد بدأت بسمات السرور ، تحتل محياه ، فيرفع رأسه الى العلاء وينادي بصوت عظيم ... أرأيت يامخلصي ! انني ماأنكرتك ؟ ومات .

ابروسترائوس

مامن شيء يستطيع ان يكبح جماح نفسه الطماعة الثائرة .

لا المجون ومعاقرة الخمر ، ولا أثقال الحياة وهمومها التي ترعب الاغنياء والفقراء . في أعماق ذاكرته القاتمة تتراءى صور الحكماء والابطال ، عكرة كأنها في مستنقع من الوحول ، فلا توحي إلا شوقاً لا يهجع ، ومحبة ملحة للشهرة. ولطالما فتش عن المجد المجنح وطارده سنين طوالاً الى حيث قادته الغباوة ، فلم تستطع روحه المجنحة ان تصل اليه فراح يفتش عنه في الذل والضعة .

وفي احدى الليالي المظلمة ، وقد تلبد جوها بالغيوم ، قاده الامل العقيم ، وفي يده سراج ، الى هيكل ارتميس . توجه نحو الهيكل يحمل سراجاً خبأه في بطانته . ان اسمك ايتها الآلهة سيبقى خالداً ! يا إلهة الافسسيين ومعبودتهم . أيها الهيكل المرصع بالذهب . سيكون لمن يهدمك ذات الشهرة والمجد الذي لك . قال هذا وأخرج مشعله وأطلق النار ، فانبعث اللهيب ، وكان شرهاً نهماً حتى غادر الهيكل خراباً لم يبق منه شيء إلا العمد التي سودها الدخان، تلك العمد المرمرية التي تذكرنا بمجد غابر .

يالك من مجنون ! إن الهيكل وجد من يعرض له جماله ، فلهيبه الذهبي لا يزال يلتمع . أما أنت فبقي اسمك في الرماد ولم يبق في التاريخ سوى جنونك الهائل الذي خلد جمال الهيكل .

لمن الجواهر تلمع فوق الوشاح المذهب ، والحاجب في الخارج ينتظر دخول الملك السائر وئيداً الى غرفته ليطفىء سراجه الذهبي . ممن يخاف ؟ إنه لن يخاف أخاه . لقد سجنه في الدير . وأمر بأن يقطع رأسه . ان أخاه ينام في ظلمة القبر البارد . لن ينازعه على العرش انسان ، وسيبقى له تاجه وصولجانه وعباءته الملكية سليمة ، ولن يقاسمه احد سعادته التي قسمها الدهر مناصفة بين أخوين فهو ينعم وحده بهذه السعادة .

أطفأ المصباح ، وارتمى على فراشه لينام ، وقبل ان يغمض أجفانه رأى أخاه منتصباً يحدق اليه . لقد اطفأ السراج . فمن الذي أشعل النور ؟ لقد انتصب اخوه بلباسه الكنسي يحمل كأساً مليئة بالدم ، بدم بريء ، وباليد الاخرى كان يشير الى الكأس ويقول : خذ هذه الكأس واشرب ياأخي . إني حملتها اليك خصيصاً . لا لن تنام ولن يطرق الليل مخدعك . أما أنا فسأنام هانىء البال . ستطفىء سراجك الذهبي وكلما أطفأته سترى أخاك منتصباً امامك يقول لك : ياأخي خذ هذه الكأس واشرب .

ايسوقراطيس

انبلج الصبح ، وغمرت الشمس الارض بأشعتها ، وشعّ البارثينون تحت خيوطها ... اجتمع الاثينيون شيوخهم وشبابهم في ساحاتها الرخامية ... قهقهات وأفراح ... ان بغض السفسطائيين وحسدهم ، وحقد الكهنة ومخاوفهم تفجرت كلها وتقطرت سماً في الكأس التي شربها سقراط . بين هذه الجموع رجل واحد انفرد وتخلف عن الجميع هو ايسوقراطيس الذي كان يمشي والالم يرتسم على وجهه ، والسكينة تربض على شفتيه ، والحزن يحفر خطوطه على محياه . إنه ايسوقراط فمن يجهله؟ لقد سار ايسوقراط قبل ان يطلع الفجر الى ايليسو حيث نبتت أشجار الغار ، وتمايل طيف سقراط ماراً كالنسيم فوق بساط الاعشاب ثم عاد يجلله السواد لاينبس ببنت شفة ، مطرق الرأس . لقد عاد فأخليت له الطريق ، وبقي بعضهم في أمكنتهم يراعون خطواته كأنه يمر بين الجموع كغريب عنها . إنه كئيب جداً وحزين جداً ، وكآبته توبيخ لافراح الناس ، وحزنه قصاص لحسد الحاسدين . أما صمته في هذا اليوم فكان أبلغ واسمى عظة يلقيها .

أعمى الانجيل

قال ذاك الذي هو النور الازلي والحياة : اذهب أيها الاعمى الى

بركة سلوان واغسل عينيك اللتين لانور فيهما . وقبل ان يصل الاعمى الى البركة ليغسل الطين من عينيه ، احس بينابيع الحياة تتفجر في أعماقه كما احس بفيضٍ غامر من النور ينسكب فوق تربة نفسه العطشى فينير ظلمة صدره . وبجنون الفرح رفع صوته وصفق بيديه قائلاً : آه ما أجمل النور ! آه ما اجمله يحتضن الكون بأسره ! ما أجمل الالوان تتميز أمام عينيه ! أهذه هي الارض التي كانت تميد تحت قدمي ؟ أهذه هي المروج والجبال والاشجار وهذا هو النهار الذي كنت أسمعه في ظلمة ليلي الدامس ؟ آه ياأماه ! أنت أنت التي ولدتني أعمى ، وانت التي جعلتني ادرك كم هي جميلة الحياة لاولئك الذين يبصرونها ، وكم هي مرة لأولئك الذين يشعرون بها سجينة في أعماق الظلمة ، غرباء عن العالم ، غرباء وراء الجبل غير المسلوك . إيه أيتها العيون التي تراني وراءها . أيتها العينان ، أيها العرشان اللذان تتوزع فيهما النفس فتفرح بابتهاج منتظرة الخلود . أيتها العينان اللتان تربطاني بالحياة وبكل العيون بأربطة ذهبية ! أية ألسنة تستطيع ان تقول ماتقولينه انت بدون لسان ، وبدون كلام . وأي فم مهما حاك من الابتسامات أكاليل وردية يملأنا فرحاً كما تمتلىء بالضياء البسيط من ضيائك . وأي انين ام اي عويل يستطيع ان يعبر عن الم شديد كما تستطيعه منك دمعة خرساء ؟ واية يد مخملية تعرف ان

تداعب النفس كما تعرفه غمزة واحدة منك ! ايتها العيون التي تجلبين النظام ليدي فتتحركان الى حيث تشتاق النفس ، وبأمر العقل . أيتها العيون التي اراها وتراني . كل شيء حبيب الي : الحياة ، والحب ، والفرح ، والامل ، والصبر . كل شيء جميل ومرغوب فيه معك وبك ، ولا شيء بدونك .

هكذا كان الاعمى قبلاً . هكذا كان يتكلم وهو يمشي الى ان التقى بالناصري ايضاً فقال له ذاك الذي هو الحياة والنور الازلي . لقد وهبتك النور ايها الاعمى ففكر واحكم ترمن اكون ؟ فقال الاعمى : أو يحتاج هذا الى تفكير وهل يحكم على النور إلا الله وحده ؟

لماذا تضج الجلجلة ؟ ولماذا يركض الناس الى فوق ؟ انهم يركضون ليصلبوا رجلين و « المضل » رجلين ينتظرهما الموت ترى من يكونان ؟ انهما سارقان سفاكان قطاعا طرق ، مجرمان ذائعا الصيت . ومن ذا الذي سيصلب معهما ؟ سأل الفريسيين ، فهم يعرفون لان الصلب خاص بهم . ها أنا ذاهب لارى ! ولما قلت انا ذاهب لارى عادت الى ذاكرتي السنوات التي كنت فيها اعمى . إنكم لاتستطيعون ان تدركوا كم تكون النفس خالية فارغة في أعماق الصدر ، عندما يسير

الانسان ، وعيناه مفتوحتان ولا يستطيع ان يرى. إنني اتذكر اللحظة التي وقف فيها هذا امامي وانحنى الى الارض واخذ طيناً ، وبمحبة طلى عيني من ذلك الطين وقال لي اذهب الى بركة سلوان واغتسل .وعندما عاد النور الى عيني وصادفت معطي النور امامي ، رأيت على وجهه كل روائع الدنيا . وكانت كل حركة من حركاته اشراقة معطرة . على شفتيه وقف النور ، وفي صوته وعينيه ونظراته ضحك الضياء ورأيت صورته مرتسمة في كل مكان وعلى كل شيء من حي وميت .

فوق القمة جمع غفير وقهقهات وضجيج آلاف من الاصوات كصوت واحد وكلها كلعنة واحدة . جموع تتدافع في مدٍ وجزر . ماذا ؟ هناك ثلاث نسوة متلفعات بالسواد يغمرهن الاسى . لاشك ان والدته بينهن . إن الجمع الصاخب يسمع دقات المسامير ولا يسمعها . فصوت الدقات يضيع مع الضجيج . هاهم اولاء . لقد سمّروا الاول، وسمّروا الثاني ، وها هو الثالث . فاذا بالضجيج يصمت والسكينة تخيم . ماذا ؟ من هذا ؟ ! أنت ؟ أنت الذي وهبتني النور ! أأنت المضل ؟ أكتب لعيني ان ترى وتبكي . وماذا يفيدني جمال الارض والسماء ؟ خذ هذا النور الذي وهبتنيه واتركني كما كنت أعمى .

بورفيراس

ولد بورفيراس سنة ١٨٧٩ في جزيرة صاقس وعاش في أثينا . كان والده تاجراً ، وكان يحب أن يكون ابنه تاجراً فقرر ارساله الى الهند ليشتغل في احدى المحلات اليونانية هناك . ولكنه رفض ذلك وفضل العلم على التجارة . درس الحقوق في جامعة أثينا ولكن مرضه لم يمكنه من تقديم الامتحانات النهائية .

كان ضعيف البنية كأنه الخيال بين أقرانه . وقد أصدر سنة ١٩٠٩ أول مجموعة شعرية له بعنوان «ظلال» . كان يجيد الآداب الاوروبية : الفرنسية والانكليزية والايطالية . وقد كتب الشاعر بالماس في تعليقه على « ظلال » ما يأتي : ان مياه تفكيري الثقيل تركض عكرةً . لن تستطيع الموسقى أن تجعله حفيفاً ليناً . اني أحسد ريشتك التي اعطتكها عرائس البحر ، ريشتك التي جمعت كل أنات الطيور ، وكل دمعة تقطرها الموسيقى من عيون ايبوكرينس . وقال الشاعر جاجوبولوس في رثاء له : أيها الصديق ما هو السر ، السر الجميل الذي يقرب القلب من القلب ، يقرب قلبك من قلبي . اني أشعر أن قلبي كله يتجه نحوك في هذه اللحظة . غرد يا صديق غرد . فلو لم تعطني الارض صديقاً حبيباً لطلبت من السماء أن تبقيني فيها لاسمعك مغرداً .

عاش الشاعر في جو مغلق ، مع أمه التي كان

يقدسها . ان حياته كانت سراً . لم يعرف عنه أنه أحب . كان دائماً منفرداً يحب الطبيعة ، ويقوم بنزهات على شاطىء البحر والغابات والجبال . وكان يحب صيادي الاسماك . وكان يقضي كل سهراته في هذا الجو حيث الشقاء والتعب ، وحيث الحياة تظهر بشكلها القاسي المؤلم . كان يقف على آلام هذه المخلوقات البشرية ، وكان يتناول في شعره البحر والذين يعبرونه ويكافحون فيه . مات سنة ١٩٣٢ ، وله مجموعات شعرية أشهرها : ظلال . أصوات موسيقية .

الكنيسة المقفرة

إنها كنيسة تلك التي تراها واقفة على تلك القمة المنفردة . لقد هجرها ابناؤها فتغطت ايقوناتها الصفراء الحزينة ، ايقونات العذراء القديسة ،لقد هجرها الناس . اما الازاهير البرية:النرجس ،واللبلاب، والبيلسان وشقائق النعمان فقد احبتها ، وكانت لها مباخر برية تنشر بخورها او اكاليل مضفورة توزع انفاسها العطرة ، وتنازع وتموت في غمام البخور الهيولي .

آه إن من يذهب الى هذه الكنيسة حاملاً الزهور البرية ينفتح له الباب عند اول لمسة يلمسه ليرى في كل مكان الاعشاش كيف حاكها النسيان لقد اعتاد الباب ان يفتح ، ولكم فتحته الريح! انك تخاله ينفتح بيد العذراء ،تلك التي تنتظر في ذلك المكان . إنها كالعجوز التي نسيت في بيتها الفقير منتظرة من يأتي اليها من وراء البحار المظلمة ابداً ،البحار الصاخبة بالزوابع .

الى كل شيء يزول

افكر بالنرجس الاصفر الممزق ، وقد انتثرت فوقه دموع فجر

يتألم . افكر بالوردوقد سكب دم زهوره النقي، على مهل، في مجرى سري نحو احضان الارض . افكر بالاوراق والغيوم التي تعبر وتموت . وبالاشجار التي تنتظر قضاءها المر لانها ستبقى دونما حراك وبكل شيء يقع فوق مرآة شرابك . وإذا اقبل الموت هادئاً ، قدمت اليه كأسك، وقلت له خذ واشرب .

سفر

حلم رائع ، حلم لايصدق هذا النهار المعجون بنور الشمس .لقد ركبنا انا وأنولا وبعض الرفاق القدماء والفتيات ، ركبنا معا وسط سكينة ساحرة قارباً يترنح ثملاً . ركبناه ومضينا الى الجزيرة ،جزيرة خارا البعيدة .

غيمة ... لم تكن هناك غيمة . دخان ... لم يكن هناك دخان أسود ، لم يكن في الفضاء دخان . كانت هناك صدور تبعث على الحب وأعناق بيضاء ثلجية . نور يغمر الشعر الأشقر ، نور فوق المحيط ، نور في كل مكان . ترى من ذهب الى مدينة خارا البعيدة ؟

لاأبالي ! ذهبت الى هناك ام لا ! لاأبالي ! إن رفاقي يضحكون وتضحك الحياة الحزينة ... إنها تعبر اللانهاية . أما أنولا فكانت تغني وقد جن اللحن على شفتيها . مهما كانت الجزيرة بعيدة فلا بد أن تظهر .

دموع

وا مسكيناه ! إن بيتنا يحن الى جمالك الحزين ، وفوق الجدران، وفي المرآة ، وعلى اللوحات بقايا من هذا الجمال الحزين ،إن بيتنا الحزين يمتلىء بريح المسك ، وينتشر هذا الشذا ، ويمتد كأنه أشباح غبراء لاتلامَس إلا أنها تلامس كل شيء تمر به .

الرذاذ يتساقط ثقيلاً مملاً فوق السطح .والاشياء التي كانت تلامسها يدك المقدسة ، أخذت تبكي ، ولكم بكت !ومن تلك الزاوية، الزاوية الموحشة ،صديق النسيان المخلص ساعتنا العتيقة الحبيبة،صدّاح الزمن ، وفي بكائها توقيع للمراثي المفجعة .

الأم

كانت الام قلقة ، وكانت تجلس بالقرب من وسادة وليدها ، والأرق يسمر أهدابها بالجفون . إنها ترتجف وترتعد ... إنها تخاف على وحيدها من الموت ،كان المرض شديد الوطأة ، وقد ظهرت على وجهه امارات الموت ، فالوجه قد اصفر والعينان اطبقتا أما الصدر فكان يرتفع وينخفض بألم كلما أراد أن يتنفس، ولم يكن تنفسه إلا أنيناً موجعاً. وكانت الوالدة تراعي ذلك وكانت كل أنةٍ سهما يمزق قلبها . ماذا ؟لقد قرع الباب ... من القادم ؟ انه شيخ .

شيخ يحمل على منكبيه جبةً سوداء ، قلْ كفناً أسود شده اليه شداً عنيفاً كمن لسعه البرد فأراد ان يستدفىء بحرارته . نحن في الشتاء ، والبرد قارس . فالجبال والحقول كسيت بالثلوج ، والريح الشمالية تصفر خارج الباب صقيعاً وزمهريراً ، والشيخ الواقف على العتبة يتهيأ للدخول لانه يرتجف من البرد فتنحني الام فوق وحيدها النائم ، ثم تدور لتحشو المدفأة حطباً وتسد الثقوب في الباب . أما الشيخ فاتجه نحو سرير الولد وجلس بالقرب منه قبالة الوالدة التي كانت تنظر الى المريض يتنفس عميقاً ويهز يديه في الفضاء . قل لي أيها الشيخ ... ماذا تريدين ؟ اريد ان اعرف مصير ، ولدي أيبقى على قيد الحياة؟ أم يتركها الى عالم آخر ؟ فهز الشيخ رأسه الابيض هزة فيها لا وأجل فحنت الوالدة رأسها وتبلل خداها بالدموع ، وأطبقت جفنيها ، فهي لثلاثة ايام خلت لم تذق طعم النوم. لقد غطت في نوم متعب . مابال الوالدة ترتعش؟ لقد انتفض جسدها فجأة وتصبب العرق من جسدها . مابالها تفتش ؟ وعلامَ تفتش ؟ أين هو الشيخ وأين هو ابنها ؟ لقد فر الشيخ وحمل معه ابنها ، والساعة التي كانت في زاوية البيت تؤنس الوحشة بدقاتها صمتت ووقف فيها الزمن عن المسير . وفي لحظة واحدة ، تتخطى الوالدة عتبة الباب منادية مولولة يابني ! يابني ! ولا ترى سوى عجوز ملفعة بالسواد

جالسة فوق الثلوج . لقد سألتها أرأيت ابني ؟ نعم لقد رأيت الموت يمر من هنا ، لقد رأيته راكضاً يحمل على منكبيه وحيدك وكان اسرع من الريح في مسيره . الى اين تذهبين ؟ الا تعلمين ان مايأخذه الموت لايمكن ان يعود؟ قولي لي أيتها المرأة السوداء أين هي الطريق التي سلكها الموت بوحيدي ؟ فاني لاحقة به ومسترجعة منه وحيدي .

سأقول لك إذا غنيت لي أناشيدك التي كنت تنشدينها على مسمعي في الليالي الدامسة ، والتي كنت تغنينها لطفلك . أنا هو الليل. لقد كنت أراك باكية ، وكنت اسمعك منشدة ، وكنت لاناشيدك حافظة ، ولأسرارك كاتمة . إنني اطلب الآن رحمة ، اطلب منك ان ترشديني الى الطريق ومتى عدت بوحيدي سأملأ اذنيك بالاغاني التي تحبين ان تسمعيها فصمت الليل صمته القاسي ، وبقي مصراً على مطلبه ، فانفجرت الوالدة بالدموع وأخذت تغني غناءها الحزين حتى رق قلب الليل لكثرة ماذرفت الام من الدموع . فالدمعة كانت تتبع الدمعة والاغنية الحزينة كانت تتبعها أغانٍ مفجعة، ويتحرك الليل ويشير بأصبعه الى الطريق التي سلكها الموت بوحيدها .لقد سلك الموت هذه الطريق ودخل في تلك الادغال ، طارت الام الى المكان الذي حشر الموت فيه نفسه، وكانت تهذي، فاحتارت فيما تفعله . فالمسالك متعددة، والطرقات

متشعبة الى اين تسير ؟ ومن تسأل ؟ سألت عليقة عارية من الاوراق والزهور لم يكن فيها الا الشوك . ماذا تبتغين أيتها المرأة ؟ لقد قالوا لي ان الموت دخل الى هذا المكان وعلى منكبيه وحيدي فهل رأيته يمر من هذا المكان ؟ نعم سأرشدك الى المكان الذي ذهب اليه الموت ، ولكن، وقد تجمدت اوصالي من البرد ، واستحال الضباب فوق رأسي جليداً ، اطلب منك ان تضميني الى صدرك الدافىء لتعيدي الحرارة الى جسدي البارد .فتضم الوالدة العليقة الى صدرها ، وتشدها شداً فتمزق الاشواك صدرها ، وتتغذى العليقة بحرارتها فتورق وتزهر وسط ذلك الصقيع، وتشير بيدها الى الطريق التي سلكها الموت بوحيدها ، فتعدو الام مسرعة ، فتصادف بحيرة عميقة لاسبيل الى عبورها ، انّى لها ان تمر ، والبحيرة متسعة امامها ؟ يا إلهي أين هي عجائبك ؟ أأشرب ماء البحيرة؟ وتنام الوالدة على الشاطىء وتأخذ في عب الماء ، فيراها قعر البحيرة ويرى عينيها تلمعان كالدرر . ماذا تقول أعماق البحيرة ؟ ان في اعماقي دراً كثيرة ولكن أنّى لي بمثل هاتين الدرتين ؟ دعي دموعك تنهمل فوق مياهي اذا اردت ان ارشدك الى قصر الموت ؟ ان قصر الموت له بساتينه وزهوره الندية وأشجاره العديدة الباسقة ،وكل شجرة فيه تمثل حياة وكل حياة زهرة . اليك عنيّ ... لقد بكت كثيراً وانتحبت ،

بكت ففاضت دموعها كالجداول . بكت حتى انطفأ النور في عينيها ولمع في أعماق البحيرة . فرفعتها البحيرة من مكانها الى الشاطىء الثاني حيث كانت احراج و كهوف وعُمُد وغرف . أنّى لها ان تميز بين هذه الاشياء هي عمياء ، وكان نور عينيها يلمع في قاع البحيرة العميقة ! أين هو الموت ؟ قولوا لي أين هو ولدي ؟ سمعتها عجوز كانت تحرس الباب فأجابتها : ان الموت لم يعد من سفرته ، قولي لي أيتها الوالدة من جاء بك الى هنا ؟ ان الله قادني الى هذا المكان ، انه حنّ عليّ ورق لاحزاني . هلاّ حننت ايتها العجوز ودللتني على ولدي وحيدي ؟ أنا لا اعرف ابنك ، وانت عمياء ، فالاشجار قد ذبلت ، و كذلك الازاهير . لقد ذبلت ، هذا المساء ، وسيأتي الموت ليغرس غيرها . في هذا المكان تمثل كل شجرة رجلاً ، وكل زهرة حياة . وهذه الاشجار والازاهير تشبه الاغراس التي تنبت هناك . وكل شجرة قلب يخفق . فاذا استطعت ان تعرفي ابنك من دقات قلبه فسأدلك الى اين تذهبين . وما هو جزاء صنيعي ؟ انني سأذهب الى مجاهل الارض اذا أردت . أعطني شعرك ، أعطني هذه الجدائل الشقراء وخذي شعري الابيض لكي ادلك على الطريق . فأعطتها الجدائل وأخذت بياض شعرها ، ودخلت الى الباحة . باحة قصر الموت حيث كانت الاغراس . كان في ذلك المكان ورود

وزنابق ، وشقائق النعمان ، وكل ازاهير الجبل والمياه ، والازاهير الضعيفة الذابلة المريضة ، وكان هناك نخيل وصنوبر ودردار ، وكان لكل غرسة قلب يخفق ويدق . أما الوالدة المثقلة بالهموم فقد أخذت تفتش بين الازاهير الصغيرة حانية رأسها لتسمع دقات قلوبها . فاذا بها أمام قرنفلة صفراء مريضة صغيرة . لقد وجدته . لقد صرخت ومدت يديها وقالت : لقد وجدته . فسمعت صوتا يقول ؟ إياك ان تلمسي هذه الزهرة قبل ان يأتي الموت . وفجأة هبت ريح باردة ، فشعرت الام العمياء بأن الموت قد جاء . كيف جئت الى هذا المكان ، وماذا تريدين ؟ ومن تكونين ؟ أنا ام . وانحنت فوق الزهرة ، وغطتها بيديها ، فعصفت ريح الموت الباردة ، وإذا الصقيع يدب في يدي الوالدة ، فتدلت اليدان كأن ثقل الموت قد حل فيهما مهما فعلت فلن تتغلبي على الموت . ان الله يرى ألمي وهو الذي يتغلب عليك . مسكينة أنت ! ومن تراني اكون ؟ ألست منفذاً لاوامر الله ؟ ألست بستانياً في بستانه اعمل على اعادة أغراسه وأزاهيره الى بستانه . في المكان القصي حيث لاعودة ولا رجعة . أنا مرسل لكي أحمل كل هذه الاغراس الى ذلك المكان ، وأتركها لغيري ليهتم بها . آه منك أيها الموت ، اعطني ولدي ، إنني اريده . لقد سقطت على الارض ودبت راكعة تحت اقدام الموت ترجوه بدموعها إعادة وحيدها . ان البكاء لايجدي والرجاء لاينفع .

وفجأة تمد الوالدة يديها ، وتدور برأسها وتقول للموت . إنني سأقتلع هذه الازاهير مادامت تزيد في يأسي يأساً . إياك ان تمسي زهرة واحدة . إنك تتألمين وتبكين على ولدك ، وانت تريدين الآن بعملك هذا ان تحرقي قلوب امهات لاعد لهنّ . فاذا بالوالدة تسحب يديها وتتراجع . لقد حملت اليك عينيك . لقد اخذتهما من قاع البحيرة رأيتهما تلمعان في أعماق الماء . لقد عرفت أنهما عينا ام . إنك ستبصرين الآن اكثر مما كنت تبصرين . هلمي ورائي لأريك هاتين الزهرتين اللتين اردت ان تقتلعيهما بيديك فأخذهما الموت الى جب الحياة . فانحنت لترى الزهرتين . لى رجاء أيها الموت ان تتعهد ابني . وتركع فجأة ، وتضع يديها على صدرها بشكل صليب وتقول : اغفر لي اللهم دموعي الكثيرة وإلحاحي الكثير واعمل ماتريد . وقطّبت جبينها وعفّرته بالتراب فحمل الموت ابنها وأركبه على فرس قوي وطار يسابق الريح الى المكان القصي حيث لاعودة بعد .

ظلال عابرة

أحبك . أحبك كما أحب الظلال المائجة فوق مرآة البحيرة . احبك كما احب كل شيء بعيد بعيد . احبك كما احب الدخان الجميل الذي يتبدد في الاعالي ، وكما احب الندى المتساقط من شفاه الليل . آه

إني احبك كما احب القدر الذي ينطفى .

وعندما تنحدر الى ايليسيا الهوميرية ، الى الجزر الهيولية حيث ترسو الارواح سأجمع لك الزنابق النابتة على شاطىء الاحلام الندية لاقدمها لكِ بدلاً من زنابق نيسان التي لم أقطفها ، كهدية لحبكِ .

الدار القديمة

إن شعرك المقيد يامسكينتي، قد لاح من خلال منديلك الاسود. لقد برزت شفتاه فدغدغته نسمة شتوية صفراء كشعاع سراج مريض . كنا معاً تحت كرمتنا الذاوية ، وكانت يدك تستند الى ذراعي ، وفراشة واحدة نجت من ريح الجنوب الباردة ، كانت تحوم بين أشعة الشمس .

إن الدموع المرّة لم تترك لنا المجال للتعبير عن ألم فراقنا . كنتِ صامتة تحدقين اليّ ، وكانت قضبان الكرمة الجافة تعبر مع الريح عن ألمنا وعذابنا

لقد كانت أمكِ العجوز بالقرب منا ، وكانت تنحني بالقرب من الباب وكانت غارقة في لباس أسود . آهِ ! إنها بصمتها العميق تشبه القدر الصامت الذي فرّقنا .

بروفليخيوس

ولد بروفيليخوس سنة ١٨٥١ . درس الفلسفة في جامعة آثينا . ذهب الى المانيا لمتابعة دروسه فحاز على لقب دكتور في الآداب . طلب اليه أن يحتل كرسي الآداب في جامعة أثينا فرفض مفضلا السياسة على التعليم . وقد دخل معترك السياسة وكان له فيها جولات موفقة ، وانتخب عضوا في المجلس النيابي اليوناني ، ولم تصرفه السياسة عن الشعر ولا عن الحياة الادبية فساهم فيها مساهمة فعالة . وكان له بالنظر الى شخصيته الفتية تأثير كبير في هذه الشخصية التي كان النبل الادبي يتجلى فيها بأبهى مناظره . كان شاعرا مجيدا مطبوعا ومصورا بارعا ، يحب البحر ويحب ويحب الطبيعة . كل شيء يتراءى له يوحي الى نفسه الشاعرة معنى الجمال . في شعره حنين ، وفي شعره شوق ، وفي وصفه كآبة وبخاصة وصف الملاحين الذين يصارعون البحر فيبتلعهم البحر تاركين وراءهم نساء وأطفالا يبكون وينتحبون كما ينتحب الموج على الشاطىء . كل شيء يثير فيه مكامن الشعر : الام التي تودع وحيدها ، والارملة التي تبكي زوجها . وفي هذا العالم من الشعور الفياض تلوح غصة الشاعر بمسحة من الكآبة والفكر الذي يحاول أن يتملص من كل قيود الارض .

له مجموعات شعرية اشهرها : النبع الذهبي . تيسفس .

توفي سنة ١٩٣٦

أفٍ من الغربة ! أفٍ من سمومها ! إني سأصعد في هذا الجبل لابلغ القمة ، وأجد غصناً منوراً ، وصخرة ملساء ، ونبعاً بارداً ، فأستلقي في الظل ، واشرب ماء قراحاً ، وأتنفس الصعداء ، وأستنشق النسيم العليل ثم اذكر الغربة وآلامها وأبوح بأحزاني السود ، واتذمر واتضجر .

الا انفتح ايها القلب الحزين ياقلبي ! ويأأيتها الشفاه انفرجي ولو عن ابتسامة واحدة !... إن القلب الذي يعيش في الغربة لايعرف الابتسامة ، فهو كالارض السوداء التي لاتعرف الاناشيد ، وكالقبر الدامس الذي لايفتر ثغره . واذا كان لهذه الارض انشودة ، ولهذا القبر ابتسامة ، فللغريب في غربته أغنية وابتسامة . ان بلاد الغربة كلها أنين وضعة وهوان . لاتزهر في ارض الغربة أشجار الربيع ، ولا تصدح الطيور ، ولا تسطع الشمس حارة ، ولا تتجاوب الجبال بأصداء الرياح ، ولا تخضوضر المروج ولا يعذب الماء ، ويصبح الخبز مراً ، من يفرح بك في الغربة ؟ ومن يبتسم لك ؟ أين هي قبلات الوالدة ؟ أين هي مداعبات الوالد ؟ أين هي ابتسامة الاخ ومسامرة الصديق ؟ أين هي المحبة

وأين عيونها وكلماتها الخالدة الحلوة ؟من يعودك في مرضك ليسألك عن اوجاعك ويناولك الادوية ؟ من يسهر فوق وسادتك في الليالي الداجية؟ وإذا حضرتك المنية وأنت في غربتك المشؤومة ، فمن يطبق عينيك ويغسل جسدك ، ويكفنك وينثر الزهور فوق جثمانك ، ويرتمي فوق سريرك ليبكيك ويندبك بشهيق مفجع ؟ من لك يرثيك ؟ آه لو تدري كيف يدفن الغرباء ، وكيف يشيعون الى المقابر ؟ فلا شموع ولا شيء آخر . اف من الغربة واف من سمومها ؟ لمن ابوح بآلامي ولمن أحمل هذه الآلام ؟ أأبوح بها الى الطرق ؟ إن الناس الغرباء يمرون بها ولا يشعرون . أأتركها فوق الاغصان ؟ ان الطيور البرية تحملها على أجنحتها . وإذا بكيت فأين تقع دموعي ؟ أفي الارض السوداء ؟ فالعشب لن ينبت فيها . أفي النهر ! ان النهر سيجف . أفي البحر ؟ إنها اذا وقعت فيه أغرقت مراكبه . أأحملها في قلبي ؟ ان قلبي سيحترق ويتسمم . اف من الغربة ومن سمومها .

روح الشاعر

إنها عين الشاعر تلك التي تحوم فوق مياه البحر الازرق الواسع . لقد انطوت فيها كل معاني الالم العميق ، وتسمّرت فوق الافق حيث يتعانق الفضاء بالبحر .

يرغي الموج ويزبد ، ويرتفع قامات ثم يتكسر فينطفىء في صراخ اليم . ان الامواج كلها تجوز أما المحيطات فتبقى على حالها . وفي اعماق نفسي امواج من الاحلام ، واشواق حارة مظلمة تلمع وتخبو لتبقى لها محيطاتها المولدة للاحلام والاماني .

مشهد طبيعي

عندما تغرق أثينا في غلالة الغروب ، وتلمع اعمدتها الرخامية كالورد تغدو جميلة كالحلم . وفوق باب الغروب المفتوح ليكول معبراً للانوار ، غيمة ممزقة لماعة تخالها رداء ارجوانياً ملكياً تقطع قطعاً قطعاً ، والتلال البعيدة تبدو كأنها اغتسلت بالانوار السرية ، والاعشاب كأنها المرجان ، والصخور والاحجار كأنها اكوام من ذهب ، وجبل الايماتوس كأنه جنية رشقت بالبنفسج ، والاكروبول حورية ساحرة من حوريات القصور ، والطبيعة الغارقة في سكينة النور ترتفع على مهل نحو احضان السماء الوردية . ولكم اردت اذ ذاك ان اركع على التربة الحية الحارة لانشد اغنيتي الوجدانية العميقة الاخيرة ، ولأنطفىء مع ذلك النور ، وتلك الالوان الهيولية ! ولكم تمنيت ان انحل الى عناصر الطبيعة المندمجة بعضها ببعض في عناق أبدي !

أردت من الطبيعة ان تفتح احضانها كأم تضمني الى صدرها

وتعيدني سحراً وسط هذا السحر ، ونوراً وسط نور العالم ، وحياة في موجة الحياة . فموتي حياة جديدة ولكن بشكل مختلف .

أرملة الملاح

كانت أرملة الملاح ترقب الافق البعيد بثيابها السود كأنها طائر اسود وسط الزوبعة . كانت تحدق الى البحر الاسود القاتم ، تملأ الدموع عينيها . وكانت الرياح تذري تنهداتها . وفي عرض البحر جزيرتان لفهما الضباب ، جزيرتان متجاورتان جاثمتان بجلال تشبهان حوتين بحريين . وكان الموج الهدار يرتفع عالياً ليتكسر زبداً على شاطئيهما . وكانت رياح الجبال الجرداء تصفر بينهما باكية مولولة . هناك بين تلك الرياح المعربدة وفوق تلك الصخور الحديدية لقي كثير من الملاحين حتوفهم . وكانت عين الارملة مسمّرة في ذلك المعبر ، وكانت تبكي فيمتزج عويلها بعويل الريح الجنوبية . لقد وقفت تصيح أمام الامواج المعربدة . اين أنت ايها الزوج ؟ إنك لم تمت في أحضان اهليك ومحبيك . لا . ان يدي لم تطبق أجفان عينيك ، ولم تضمخ دموعي جسدك ، ولم يكفنك حبي لان الموج الثائر لفك بأكفانه ، ولم تسمع المراثي التي تليق بك لان هدير اللجة لا يعرف الرثاء . ولم تدفن في قبر بل حفرت الأمواج الهائجة قبرك بين الرمال ، ورثتكَ

بصوتها القاسي ، وبصوت الطيور الحائمة فوق الاثلام مفتشة عن جسد لتأكله .

وداع الام

سر يابني على بركات الله ، سر ياولدي المحبوب فقد أقبل الوقت الذي فيه تبسط جناحيك لتطير الى بلاد الغربة . سر فقد حان الوقت ، وهاهي أحلامك تتفتح براعمها في عقلك وتنجلي كما ينجلي فجر الصيف ، أحلامك الذهبية المحومة حولك ، في حين أكون معذبة تصفعني الآلام ، وتقطع سكاكين اللوعة نياط قلبي .

أجل ان مدية الحزن القاسية لاضرر منها في يد ولدي ، فاسمع يابني ماأقوله لك ، ولتنطبع هذه الكلمات في روحك الناعمة . ان قلب الام الذي تتأكله الاحزان يتكلم بلسان الملائكة التي تنيرها ، ان العالم هو لوحة سوداء تجلس امامها وفي يدك سراج من ذهب لترسم فوقها نفسك البريئة ، ولتكتب ، وعلى شفتيك ابتسامة الملائكة ، حبك بريشة الزهور ، وأغانيك برقصات ساحرة . ولكن ستفيق عند الفجر لتجد نفسك وسط الظلمة .

كل هذه الافراح ، وكل هذه الزينات الصادرة عن قلبك هي ألاعيب . فاذا ابتسمت لك زهرة ، فاعلم ان في كل الازاهير سموماً .

فاحترس من أصدقائك ومن أعدائك ، فان يد الصديق أحياناً تجرح قلبك بجرح لاشفاء منه . احذر كل شيء حتى العمل الصالح ، وليكن عقلك يقظاً عندما تبدي آراءك . فكثيراً مايتفجر نبع الصلاح عكراً وقذراً ويقودنا الى الهلاك . لاتخف من الكلام الباطل ولا يأخذك الغرور بالمديح . فالاصدقاء الذين يحملون في شفاههم كلمات المديح والثناء يسيئون الينا أكثر مما يسيء الأعداء . فاحذر الانقياد وراء الامور العابرة ، وكن كالنحلة تختار أنقى مافي الزهور ،وسواء أضحك البحر أم غضب ، فاعلم ان كثيرات قد عبرن هذا البحر ، وقد تبرجن بالذهب ، وستلتقي كثيرات منهن وقد فتحن أحضانهن ليحتضنّك كما احتضنّ غيرك ، وكما تحتضن القوارب أجساد المسافرين وأرواحهم ثم تذهب بهم إلى قاع البحر . فلا تنس في أفراحك الكاذبة ، وفي حبك المجوني محبة أمك ، لاتنس أمك . لاتنس أمك التي أرضعتك من لبنها فهي طاهرة نقية كذاك اللبن ، وهي تمطر الحنان والحب كما سكبت على شفتيك لبنها النقي . فان أحببت أو لم تحب فمعين قلبي لاينضب . لا تنس أمك التي لاتعرف محبة أسمى من محبتها لك . لاتنس بيتك الفقير هذا الذي قضيت فيه أسعد أيامك وكانت مباركة ومقدسة . لاتنس الأماكن التي حنت عظام ركبنا . لاتنس أمك يابني.

وتغرورق عينا الوالدة بالدموع، ويبكيان معاً متعانقين، وينشر البحارة أشرعة القارب ويهتز القارب متهيئاً للمسير، وتتسمَّر الوالدة على الشاطىء كأنها صخر لا يتحرك، وتبقى وحيدة كتمثال اليأس، وتراقب القارب المنطلق في البحر الواسع كنجم مسافر فوق موجة لا تعرف الابتسامة. لقد شعرت إذ ذاك ماذا فقدت، فاذا في قلبها آلام كثيرة لا حصر لها وكأنها ترقص فوق فوهة البركان لشدة عذابها.

الى اختها

أنتِ يامن فتحت بمراثيك أعماق قلبك الحزين فانصبت فيه كل وحشية الالم القاسي القاتم بنيرانها التي جعلت كل كلمة من كلماتك ناراً محرقة. أنتِ يامن بمراثيك الحارة ارتفعت الى ذروة مآسي الالم فتساقط نواحك فوق جثمان الميت أكاليل حية مضرجة بالدماء أنتِ يامن شربت كأس الالم المرّ جرعةً، جرعةً. أية شعلة أخذت معك الى الغربة ياأختي الشقيَّة؟

إن تلك الصرخة الاخيرة التي انطلقت من شفتيك حاملة اسمي لا تزال تؤلم جرح قلبي أكثر مما تؤلمه أقسى مدية، فأرى أمامي ذلك المشهد الموجع، مشهد الجمال البريء الساكن الهادي. وأراكِ بعينيك الثائرتين الهائجتين الجنونيتين تزينين بالازاهير اختك التي لن

تفيق . تزينين بالازاهير رأسها الجامد وتطوفين حولها كأنك عروس . أنت يامن كنت كالأم تراقبينها وتفاخرين بها وقد زينت جمال عذوبتها . آه كيف كنت تنتظرين والامل يملأ قلبك ، رسالتها ؟ آه كم كنت تحنين الى تلك الرسائل وكم كنت تشتاقين الى تلك القبل المحملة بتراب موطنك العزيز ! ان التراب يذوب في يدها الاخوية ، ورسالتها العاصفة لن تمر في البحر الهائج . إنها ثائرة تود الوصول ، تحمل عطور المحبة المقدسة . لقد عصب هذا البحر الاسود الثائر نور عينيها الجميل . آه لقد ذهب صوتها وضاع كما تضيع الموسيقى الحنون . لقد ضاع صوتها المليء بالمحبة والشوق ، ونضب النبع الالهي نبع الافراح . فاجلسي على شواطىء البحر المتوسط ، واسمعي أغاني الموج الحزين الذي كان يحمل لك أصداء المحبة البعيدة . أصغي اليها فانها لن تحمل لك بعدُ الفرح ، ولن يبقى في قلبك سوى جرح دام ، وفي عقلك غير أشباح اليأس ، وفي عينيك غير دموع حارة ، وفي خاطرك غير تذكارات تجول في ألم . اجلسي الى الشاطىء وانظري الى ماهو أبعد من الآفاق ، فوراء الآفاق صوت أنيس يدعوك .

عودة الملاح

استيقظ أيها البحر النائم ، وانفخي ياريح الجنوب في الموج

الازرق لتتكلل نواصيه بالثلج . انفخي أيتها الرياح ، وجنحي القارب ، ورشّي صدره بالزبد ، وافتحي امامه وخلفه اثلاماً عميقة ،ودعي الجبال تتوارى مسرعة .

ان الليل يبسط جناحيه ، وتترامى النجوم المرتعشة في الفضاء ، ويدور قاربي بهدوء مع الريح . لقد لاح إكليل أحبائي المرصع بالماس لمّاعاً فاركضي أيها الحوت البحري ،فالصبح الوردي يطاردنا .هانحن اولاد نستحم بالنور في وسط الامواج . هاهي ذي بلادي . ياللفرحة الكبرى! هناك من ينتظرنا على الشاطىء . هو ذا البحر يسرع معي كأنه يشتاق الى الشاطىء اكثر مما اشتاق أنا .

أيتها الموجة ! هلاّ عرفتِ تلك الفتاة المبتسمة ابتسامة الملائكة؟ هي مثلكِ عندما ينعكس القمر الذهبي على مرآتك المصقولة . وعندما تنطق شفتاها المعطرتان كلمات التذمر يكون كلامها ارق من صوتك الباكي بين الرمال المقفرة ، فاركضي الى الشاطىء ولامسي قدميها ، وألقي نظرة حائرة هنا وهناك ، وقولي لها هأنذا أعيد الحبيب اليكِ كما أخذته منكِ .

بابا أنطونيو

ولد سنة ١٨٧٧ في كربونيس وجاء الى أثينا سنة ١٨٩٠ . دخل الجامعة ليدرس الطب فلم يكمل دراسته لان ميله الادبي حرفه عن هذا العلم . كان يحب التصوير فاختص به . ولكنه بدلا من أن ينصرف اليه انصرف بكليته الى النقد الادبي فكان فيه من المبرزين وكان من ابرز الصحافيين في بلاد اليونان . سافر الى باريس (١٩٠٩ ـ ١٩١١) وكانت باكورة أعماله الادبية رسائل ادبية بعنوان « باريسيات » . وقد لاقت هذه الرسائل تربة خصبة . وفي سنة ١٩١٨ عين والياً على احدى المقاطعات اليونانية . ثم تقلب في وظائف متعددة وأخيرا عين أستاذا لتاريخ الفن في مدرسة الفنون الجميلة وحاز سنة ١٩٣٢ جائزة الامتياز في الآداب وانتخب سنة ١٩٣٨ عضوا في الاكاديمية اليونانية وتوفي سنة ١٩٤٠

ان الشاعر بابا انطونيو يرى الطبيعة والبشر ، والاحياء والجمادات بمنظار المصور ، وبشعور الطير الصداح القلق الذي يضيع بين الغابات ، والذي يسير مطرقا وسط المدن ليلتقط الاصوات السابحة مع النسيم لتختنق في أثلام السكون جزعا خائفا من أن يكشف عن وجودها . وهنا العذاب والكنز الذي لا يقدر . كان الشاعر مصورا في شعره ، خطوطه فيها عمق ، وخياله موشىً بالحيرة والقلق يلوح له العالم كنهاية

وتلوح له نفسه طائرة من مكان الى مكان ، يؤثر لها أن تقف ، أن تعود الى ذاتها فتجرفها الطبيعة ويجرفها الجمال ، فتغرق في أعماقها وتطلع بثوب جديد فيه قلق السحر وجمال القلق .

له مجموعات شعرية عديدة أشهرها : الجبال العالية . السنونو . الهدايا الالهية . الجبل المقدس .

صلاة

يارب عندما يهجم الليل بظلمته ، تتحرك شفتاي بالصلاة . إني لم اسيء الى مخلوق ، إلا الى نفسي . ولم ابغض انساناً بل ابغضني الذين احببتهم وضحيت في سبيلهم ، وأغرقني الذين سقيتهم من كأس محبتي في محيط نكرانهم وجحودهم. لقد تحملت ألمي بصبر فأبعد عني آلام غيري.

لقد انكرتني افراحي ، فلن افتش عنها ، وإذا أمّلت بأفراح جديدة فاني ارتكب إثماً . إني احب الليل كما احب السعادة . احب الليل لان الريح وحدها تدق بابي . لاأجاد عندي . إن سعادتي حلم يطارد الاشباح ،وليلي يطول كلما طالت الخيالات ،ولم يبق في ذاكرتي سوى صوت المطر المنهمر على السطح ، ومنظر غروب الشمس ،وقد هاجمته الغيوم ، والاطفال وهم يلعبون الاكر في الساحات ، والكلاب وهي تنبح لمقدم رجل غريب .

لم يبق لي شيء في الدنيا ، فاجعلني اللهم نسياً منسياً . اشكرك يارب لانك خلقت الجبال والمروج ، ورميتني بين احضانها فعلمتني مالم يعلمنيه احد . علمتني انك انت الذي تفتح صدرك لتعطي الخيرات

وتكومها جبالاً يسيل من سفوحها خيرك ليسقي المروج ، ويضحك به الجدول ، وترقص البحيرة بين اعناق الزهور الحالمة .

ليلة الميلاد

أنا رجل خاطىء قذر . ولّى النهار كالامس الذي عبر ، وانتصف الليل ولمّا ازل اطوف خلف حواجز البستان متأملاً في ازاهيره ، وسابحاً بعيني فوق مياه البرك الرخامية ، تتأكلني شهوة الدخول اليه فلا اجد من يفتح لي الباب الحديدي . درت طوال الليل حتى تولاني التعب . وفجأة انتصبت أمامي ذكريات أيامي الغابرة ، ذكريات حياتي المليئة بالمعاصي والآثام . حياتي التي تقضّت بين الوحول والادران ، فازدادت اتعابي ، وتضاعف عذابي . لقد شعرت بحقارتي فتحول وجداني الى شعلة من العذاب . فالبشر يقفون كالسد المنيع امام تحقيق أمانيّ ، ويمنعون شوقي المحرق من الدخول الى بستان صفقت أغصانه لأنام تحت ظلال أوراقه ، واستدفىء بحرارة عدله ورحمته .

إن الدجاج والحمام والارانب وسائر الحيوانات الداجنة تجوب الحقول ولا من يمنعها . والدوري يغني أناشيده بحرية ، وطنين النحلة يسكر الزهرة ، فتتضوع طيباً وشذاً . والعربات تسير ، بعد انهمار المطر ، تحمل باقات الناس ، فتنتشر كالمظلات في المروج المرحة . أما

أنا فكنت ادور حول القضبان الحديدية يطاردني البستاني والخادمات الشريرات ، فأشعر كأن الموت على قيد خطوة مني . الرطوبة تأكل جسدي والبرد يلسعني ، وليالي الشتاء الباردة تولول كأنها تندبني ، فأقضي الليل ساهراً أسامر الريح الشمالية .لن أهرب الى المدينة الصاخبة حيث تستعد أحضان الشر لاستقبالي استقبالاً حاراً . ياللخجل ! إن شيئاً واحداً لما يزل يشدني شداً عنيفاً . لقد ناديت بأعلى صوتي. ناديت وأنا أقف على عتبة الباب الخارجي من القصر، ناديت كما ينادي الانبياءَ الكذَبة المحتقرون. ناديت وقلت : الا احملوني الى الهيكل لقد صمّت دوني الآذان ، فلا من يسمع ، ولا من يجيب، ولا من يرق قلبه أمام عويلي وصراخي . إن عقابي يسقط فوق رأسي شقاءً مغموراً بالثلوج ، ويدركني صقيعاً، ويزورني زمهريراً ، تصطك له أسناني،ولا نار عندي لاستقباله ، ولا فراش لأدفن صقيعه تحت اللحاف الدافىء ،ولا سقف لأمنع حبال الامطار الساقطة فوق رأسي فأين من يرحمني يارب ؟

إن أعياد الميلاد بأيامها البيض قد اقتربت ، فالرعاة يتركون نایاتهم ليشدوا أوتار قيثاراتهم . والمجوس في الهيكل يرقبون الفضاء،ليل نهار ،منتظرين مرور النجم ، نجم الاله الصغير . وشعاع ضعيف يصل من خلف القضبان الحديدية في تلك الليلة الدامسة . لقد قضيت الليل

ساهراً . من يدري ؟ فقد يصل اليَّ في هذه الليلة الاله الذي يطوف فوق بيوت الفقراء والخطأة المساكين . هاهو ذا الاله أطل باسماً وفاتحاً ذراعيه ليستقبلني ، فاندفعت اليه بكليتي ، وإذا الكون عرش يموج بأصوات الفقراء ، وقد وجدوا لهم نصيراً ومعيلاً ، وقد وجدوا فيه رحيماً عرف كيف يجلو عن نفوسهم غيوم الخطيئة . هو نور غمرني ، نور الميلاد ، فغرقت في نشوة أنستني آلام الحياة وقسوتها .

اليه

لن يهمني شيء إذا كنت بالقرب مني . لن تهمني الظلمة ، إنني أسلكها كأن لاظلمة في الوجود . إنك تنير الليل . إنك سراجي أقرأ فيك نفسي ، إنك شمسي تدفئني حرارتك . إنك ضيائي أكحل بك عيني الحالمتين .

إذا كنت بالقرب مني فلن يهمني اجتياز النار المضطرمة ، ولا اجتياز عالم من الجليد . فنسمتك هي حياتي ، وأعضائي الجليدية تتحرك تحت دفء لهاثك وطلّك الندي يسكب على نار الاتون ينابيع العذوبة والرقة .

إذا كنت بالقرب مني ، فلن تهمني لفحات الصحراء الكاوية ، ولا تخيفني اودية الموت . لن تخيفني الارض المقفرة الموحشة ، حيث

تحوم النسور ، وتجول الوحوش المفترسة .فروحك عصاً تقف في وجه كل من يريد ان يفترس هذا القلب المسفوح على مذبح محبتك .

إذا كنت بالقرب مني فلن أقف عن الغناء ،وهل استطيع ان أقف ؟ فشفتاي تتحركان دائماً بالنشيد ، وحبك يجنحني لارتاد عوالم الموسيقى طائراً فوق القمم وزارعاً في النسيم أنغاماً خالدة لحب خالد .

إذا كنت بالقرب مني فلن يهمني شيء . سيكون معي نغمي المعجون بزبد الجمال ، وخيالي الطائر نحو فجرك الدائم ، وروحي الحالمة في مخدعك المقدس ، وستكون أنت الدافعي بقوة ، للتحليق اليك لأحيا معك وأعيش . إذا كنت معي كان الكون الخالد فيّ ، وهذا هو نشيدي الابدي ...

زهرة

يازهرتي لقد عشت في روحي ، وتغذيت من دمي . سقيتك من ينبوع حياتي ماء مقطراً في مصفاة دموعي . يازهرتي إن أريجك يزداد كلما شممت هذا الاريج ،ويتضاعف طيبك كلما عطّرني طيبك .يازهرتي البيضاء إن هذا الرحيق الراشح من أهدابك يتساقط في كؤوس نفسي كأنه شلال من الموسيقى ، فيملأ الكؤوس بالرؤى ، ويرسم لوحات من الحب تتمايل فيها أشباح سرية تحت سحاب موشى بفجر نحره الليل

قبل هزيمته . يازهرتي في كل ليلة اغني لك أغاني ، وليس كالليل من يفهم الاغاني السرية . إنه يحبها وشوشات وهمسات ، وهكذا ينقلها الى النجوم ، وعلى جدائل شعرها الراقص ترسلها في غمزات الى القمر المستند الى شاطىء البحيرة العاشقة يغني بلسان الموج سر حب مقدس. في كل ليلة أغنيك ، قد تسمعين ، وقد لاتسمعين . أغنيك لانك النغم الذي يتفجر في أجواء نفسي، وشذاك هو الذي يفجره. أغنيك في فرحي، أغنيك في ألمي ، أغنيك في سري . أغنيك وانا غارق في عالم أحلامي . وفي هذا الجو يطبق حبي عينيه ليرى ماوراء الظلمة ، ويرى روحه ترفرف كالطيف في عالم اختنق فيه النسيم .

أنا أعرف ان أوراقك ستذبل يازهرتي العزيزة ، وان الزمن سيمر بيده فوق أجفانك أنا اعرف أن هذا الطيب سيختنق في قبضة الزمن القاسي لأن ناموس الكون يقوم على التحول ، ولا يقبل ان يعبر الناس بحلم خالد الى عالم الخالدين . أنا أعرف كل ذلك ، ولكن عصير أغراسي يوزع عليك عصيراً يبقي شجرة حبك مورقة خضراء ندية حتى في الصقيع القاسي .

الرحيل

الناقوس بصوته الفضي ينادي الناس الى الصلاة ، والصبح لما

يزل ملتفاً بعباءة الفجر الوردية ، يطارح الكروم المبعثرة فوق البطاح كأنها أكوام من ذهب أحاديث الشوق والجوى، فتخال الحقول بحراً من العقيق يتماوج تحت جناح السحر ، سحراً وفتنة ، والقطار في سرعة الفكر يجتاز هذه المشاهد ، وقلبه أتون يغلي وينفث آهات عميقة وشهيقاً موجعاً .

أعرفت صوت الناقوس ، أعرفت هذا الصوت أيتها النفس ، يانفسي ؟ إننا راحلون الى بلاد غريبة . وسماء غريبة تلبدها غيوم غريبة ، وتمر بنا القرى البيض كما يمر الطيف في مخيلة العاشق، وتلوح لنا قباب الكنائس من خلف رؤوس الاشجار كأنها عيون دامعة ترقب رحيلنا فتلوح لنا بمناديل الشجر مودعة عاتبة. لقد امتلأت السفوح بالازاهير، وأغاني الناقوس مزامير تنسكب في آذان الكون ، فيرقص ويتماوج عطره أطباقاً يحملها النسيم العليل سحراً لمشامك الحساسة. كيف تبددين هذه الاحزان وأين تذهبين بها ؟

إن احلام الفلاحين الذاهبين سحراً الى الصلاة تطير مع صدى الناقوس ، تطير كما يطير سرب من الحمام الابيض ، أو كحمامة بيضاء الصدر عاجية الاظافر ذهبية المنقار. آه لو تحلقين فوق المروج والسهول كما تحلق خيالات وتأملات هؤلاء الفلاحين ! آه يانفس لو تنحدرين الى

هذه الجداول الرقراقة كما ينحدرون ، وتقفين معهم على الشرفات، بين أغراس الحبق والنعناع والبنفسج .

هاهو ذا الصبح يطل عليك مثقلاً بالورود . ألا احملي في أعماقك هذه الجبال التي يوردها المشرق . ألا احمليها في اعماق كيانك أيتها النفس المعذبة . أما هذه القرى البيضاء الهاربة بسرعة القطار فستخطر في منامك . وهذه الازاهير ستنبت في أخاديدك وفي هوة شقوتك فتحصدينها تحت الشقاء والضباب . أتعرفين يانفسي هذا الصدى ؟ ان الناقوس يسألكِ الى أين تذهبين ؟ يسألك كيف نسيت ربك وإلهك ؟ لقد سمعت وأنا في إطراقة التفكير سمعت صدى الناقوس يرقص فوق المروج المزهرة كأنه صوت المؤنب يقول : الى أين تذهبين يانفس ! عودي الى بلادك .

الى سيدة الملائكة

أقبلت السنونوة ووقعت على نافذتي ، وغنت مزامير أحلامي في في تمجيد نقاوتكِ . إني مدين للدمار الذي رفعني الى برجك المقدس ، وللخيبة وقد تباركت الخيبة لانها جعلتني أسمع صلاة الغروب .

إن الدنان تحن الى قارب شبابي الذي نفخت في شراعه الريح ، فانطلق عند الصباح ماخراً عباب اليم فمرت سيمفونية الرياح على رباب

حباله دون جدوى ، وانطفأت شموس المحيطات وراء صواريه عبثاً ، والدنان لما تزل تحن الى قارب شبابي الذي انطلق مع الفجر .

لقد هوى قاربي في هوة مظلمة فحطمه الموج وحمل حطامه الى شواطىء الجبل المقدس . إن أصدقائي قدموا إليّ دواء الهجران والسلوى فتجرعته حتى آخر قطرة . لقد رأيتك في أعماق كأس آلامي ياسيدة الملائكة جميلة كالمحبة ، بهية كالنور ، حلوة كالفجر . إن اصحابي قدموا اليّ دواء السلوان فلم اسوغ لنفسي الفرح ، فالفرح إثم وخطيئة . فاحفظيني ياسيدتي فوق قمة الاتون في فوهة الالم ، وأبعدي عني فرح الهزء والسخرية وغلبة الفقر .

لقد رأت نفسي القوة فحولت وجهها عنها ، ورأت غد الشباب فانتحبت بمرارة وسمعت أغاني الانهار ، فأعولت وناحت على المدنيات الكبرى التي محتها الحروب وناحت على الغالب والمغلوب .

لقد تعلمت أن احمل شمعتي موقدة امام أيقونتك المقدسة . تعلمت ذلك بعد ان رأيت الحرباء تتعرج فوق أطلال المدنيات ، والغار ينوح كالصفصاف فوق أنهار إثمها إن مجد الاقوياء يمر كما تمر خيالات الغيوم ويعبر التاريخ كما تعبر أساطير الحقول . وفوق أمجاد الناس وانتصاراتهم يهز السرو رأسه . إن الألم الذي مزق أحشاءك هو الثابت

والحقيقي أيتها السيدة القديسة. فالمجد للألم واليه تقدم المحبة كأس دمائنا ، وبه تكفن روحنا النجوم التي اقتلعتها من الجنات السماوية ، وله تفتح فراشة أيامنا الصافية جناحيها ، وتزهر زنابق الامواج على حافات أثلام المد . المجد للألم لان أوراق التجارب الذهبية والخضوع تتساقط تحت قدميه من شجرة الحياة ، والرسامون يقيدون الشمس ليتكلموا عن اعماله. ان اشكاله موجودة قدت من رخام الثلوج وأفكاره الازلية مزهرة في السكينة فالمجد للالم الذي افجعك ياأم المحزونين .

ان الناسك بعد ان تحرر من قيود مادته، بعدان قلبت عظامه فوق أتون ارادته وفي سعير تضرعاته رآك في توبيخات ضميره وحياً ختمه على صناديق قلبه . لقد استحالت حكمة مصائبي الى سراج نير ،وموسيقى صمتي الى نشيد بيزنطي يتصاعد الى علو مجدك. إنك جميلة كالنفس المتألمة، وكالسعادة الضائعة ، والفكر الحائر ، والجرأة الراكعة . فاقبلي زنابق أفكاري ، واسمعي بلابل مزاميري ياسيدة الملائكة .

السيمفونية التاسعة

إن سيمونية بتهوفن التاسعة حملتنا الى سفرٍ بعيد ، حملتنا هادئة مطمئنة الى سفرٍ إلهي ، وقادتنا الى نجم المثل العليا . لقد رأيتِ كثيراً في ذلك العالم ، فلا تبوحي بما رأيتِ . ادفني كل ذلك في مدافن

الذكريات ، وعندما تنفتح نفسكِ على الجمال المطلق ، افتحي قبور ذكرياتك. واذا ما استولت عليك الاحزان عيشي مع مرئياتك المخبوءة في مخازن نفسك . دعي كل ما رأيت في أعماق النور من عينيك حيث لا يستطيع احد ان يراها حتى ولا عين الحب . دعي كل هذه الاشكال الخالدة في تلك الاعماق ، وغلفيها بالنور واحتفظي بما رأيناه في سفرنا. وماذا رأينا ؟ رأينا ما يحلم به المرمر على الارض من خيوط القمر ، وما تحلم به الاشجار المنحنية أمام هيبة المغيب ، وعرفنا خرير المياه تحت سحر الاصيل . لقد زرنا كل الاماكن المقدسة . والتقينا بكل الاشكال السماوية ، واستحمت افكارنا النقية بمياه الخلود ، وشربت حمامة روحنا من ينابيع الصلاح الخير ، تألمنا بحق ، وكان حقيقة كل ما فكرنا به قبلاً . إنك لن تخافي بعد من قبح افكار الناس ولا من قسوة القدر. فهناك وجدنا هدف آلامنا ، ولن تخافي شيئاً بعد . يكفي ان تفكري بسفرنا حتى تتبدد مخاوفك ، ذلك السفر الذي قمنا به على جناح السيمفونية التاسعة فحطت رحالنا في نجم الافكار المثلى . فكري بأفلاطون وقد وقف في وسط مروج أفكاره البيض التي ازهرت جمالاً . فكري فيه وفي فكرة السابح في بحر من الصفاء . فكري تتبدد همومك .

مبارك هو ذاك الذي حملنا في قارب الانغام الى عالم المثال والهدف!
وتبارك روحه الحزين الذي قادتنا على اجنحة الموسيقى الى الحق .
اغرق أيها الانسان في ذاتك، اغرق ثم ، صمت .. صمت ... صمت.

مرامير

يارب إن صواعقك قصفت بيتي فليكن اسمك مباركا . لقد عرفت جيداً كيف توجه ضربتك الالهية . ان نيراناً ترسلها أنت تستطيع وحدها ان تجد أعماق محبتي لتحولها الى رماد . ان صواعقك ابتلعت قبة حناني ، وغرقت ينابيع دموعي . إني اسمع رعوداً في فضاء نفسي فأهلني ان اشع بنور الالم .

يارب كنت حتى هذه الساعة لا اشعر بآثار صلاحك ، بدمارك . أجل تبسمت يوما من الايام ووجدت الحياة جميلة . لقد اقترفت كل هذه الذنوب فتعطفت وأيقظتني . ففي الالم الذي أغرقتني فيه ، لن اسمع غير قيثارة افكاري التي تمجدك ، ولا أصغي الا الى صوت النهر ، نهر الازل الجاري تحت قدميك .

ان سروة حياتي تهز رأسها باتجاه السماء . إني انتظر صباح مساء ، كيف ستنعطف فتحرق هذه السروة السوداء التي نسيتها صواعقك يا الله .

أودانيس

ولد الشاعر سنة ١٨٩٠ ، أنهى دروسه الثانوية في بلدته نافبليوس ، وأتم دروسه العالية في جنيف وباريس . شغل وظائف سياسية وكلها خارج بلاده ، وراسل الصحف والمجلات .

كانت حياته عبارة عن أغنية دائمة متنقلة من مكان الى مكان . ولم يترك عاصمة من عواصم أوروبا الا زارها ، ولم يترك حلقة أدبية الا كان فيها عضوا يشارك في حركتها . حلم فوق ضفاف كل بحيرة ، وسمع صوت كل ساقية ، وسار مع كل نهر دوحا حزينة توشي الكائنات بالحزين الرائع من عصارة القلب وجلال الروح .

ان الحياة الجارية كنهر مندفع نحو الابدية تحرك في أعماقه موسيى عميقة ، وتفك عقالات خياله لينتشر كالطيف الحالم فوق زوال الدنيا ، وتدفع الروح الى التحليق في عالم بعيد لا يعرف الفناء . كل شيء يحرك فيه عالمه الداخلي . أنسواقه التي لا تحد ، والوان الجمال الراعية في نفسه، وعصير الفن الجاري في دمه . وكثيرا ما كانت تجرح قلبه الذكريات ، وتهز روحه الخواطر ، فيقف فوق قمة الحياة حالما ، تنسكب من أحلامه عصارة من الكآبة الحلوة الجذابة .

كان شاعرا رومانطيقيا ، وكان شعره كالموسيقى يخرج من النفس ليقع في النفس . لا تكلف فيه ولا تصنع ، يتموج كتموجات روحه ، ويمتد كما يمتد خياله ، لا يتقيد بقيود الشعراء ، بل يترك شعره على سجيته ليأسرك بهذه الروح المتفجرة دون اجهاد .

للشاعر مجموعات شعرية اشهرها : كالحلم . حنين . الشمس والظلال . توفي سنة ١٩٥٣

اليونان

أراك يابلاد اليونان، يابلادي، ترتفعين بجلال، وكنتِ ولمّا تزالي توزعين النور فوق البطاح .

لقد كان اول نهار في العالم نهاراً يونانياً ، كان نهارك ياوطني العظيم . إني اراك دائماً منتصباً كما كنت. إن الليل حالك فوق الجبال ، والثلوج تتساقط فوق الصخور ، وفي الاماكن الوعرة المظلمة ، يمتشق اليوناني حسامه .

إن ثلوج جبل بندو استحالت الى ورود نيسان. والظافر السائر في المقدمة وقد كللته الزهور يقبض بيده على سيف دياكوس ، وعلى شفتيه أغاريد ريفا .

إن النسيم يتحدث فوق الاغصان ، والبلبل يتكلم فوق الفنن ، وكل الآكام تردد: ان الفتيات يأتزرن في الجبال بالنار ، وتعقد حلقات رقصة زالنكو من جديد . أما المكافح الذي يحمل السيف في يده ، فانه يأكل خبزه بعرق جبينه . انه يعرف ان يعيش بشرف . وان يموت بجلال الكرامة .

إلهي ! في هذه الليلة من ليالي الشتاء الحزين ، إذ تطل ملائكتك من أماكن الربيع الازلية ، وتنحني فوق شرفات الغرف المقفرة ، ناثرة على مهل فوق الارض كؤوس الزهور البيضاء مطوفة محومة صامتة في الفضاء الساكن . إلهي ! في هذه الليلة ، وقد ولولت الريح كأنها أرواح الخطأة الذين أبى القبر ان يستقبلهم ، اذكر إلهي جميع اولئك النائمين فوق سرير حقير ليأخذوا من نومهم قوة تعينهم على تحمل البارحة .

إليك إلهي قلباً بشرياً ! خذه في هذه الليلة . اذكر من خلقك أولاً الشعراء الشيوخ العائشين في عالم النسيان . اذكرهم لان المجد ماطرق بابهم . اذكر اولئك القابعين في غرفهم الدامسة الباردة ، يرتقبون الغد المجهول ، وهم يعرفون أنه لن يجيء . اذكر اولئك الذين يتضاحك من قبحهم الناس ، والذين يهزأ بهم الناس لسلامة في قلوبهم . اذكر المرضى الذين يموتون في كل يوم ، وهم على قيد الحياة ، والفتيات اللائي حرمن من سحر الجاذبية ، اذكر اللهم اولئك الذين يتألمون ليرتاح غيرهم ، اذكر الودعاء والصالحين والمطرودين الذين لايستطيعون ان يذرفوا الدموع لكثرة ماذرفوا . اذكر اولئك التائهين في العالم ، وقد

اصنامهم البؤس يجرون الالم وراءهم ، ويزحفون الى كنائسك ليجدوا تعزية فلا يجدونها ، وأنى لهم ان يجدوا ، واصواتهم الضعيفة لاتطرق مسامعك لسمو عرشك ؟ أنى لهم ذلك وقد بحت حناجرهم من فرط البكاء والعويل ؟ اذكر اللهم الذين يتألمون ولا ذنب لهم . دع السعادة بعيدة عنهم ، ولا تجعلها مكافأة لهم . ان السعادة لاتكون عزاء لمن يتألم . دعهم إلهي ينامون ، دعهم يطبقون اجفانهم ، ومرْ ملاك الموت ان ينسل الى مخادعهم . أوصه ان يدخلها بأناةٍ ورفقٍ لئلا يوقظهم . علمه كيف يجب ان ينحني فوقهم . قل له ان ينحني فوق شفاههم انحناءةَ الاخت ، لاانحناءة الوالدة . فالوالدة عنيفة في حبها . قل له ان ينحني ويضع شفته فوق شفاههم المطبقة ، وبحنان ورفق فلينزع منهم الروح .

المائتة الحبة

لم تموتي . ان عطرك لما يزل متضوعاً في الغرفة ... إنه لما يزل منتشراً ، وان كنت قد فارقتني ... وفوق المقعد لما يزل تطريزك باقياً متكلما عن وجودك الدائم ، وآثارك لمّا تزل فوق البيانو حيث كانت ترقص أناملك ويرقص اللحن معها .

ان صورتك لما تزل فوق منضدتي ... يالهامن صورة ! إنها تنظر اليّ بعينيها الهادئتين ، أما الريح ، فليست هي الريح التي تفتح الباب ،

بل أنت تفتحين الباب لتدخلي كلما حان موعد الغروب .

لم تموتي . انكِ في كل مكان وفي كل شيء في بسمة الورد ، في أنين الريح ، وفي الغيوم ،وقد ذهبتها الشمس في سيرها نحو المغيب. وفي الليالي الدامسة ، في تلك الليالي أراك بالقرب مني . لم تموتي .فلتمر الشهور ، ولتمر السنون . كل هذا لاقيمة له . ان الأموات يموتون عندما تُسدل ستائر النسيان على ذاكرة الأحياء .

حب

لو تعرف كم حننتُ اليك أيها الحب! حننتُ الى مقدمك .انني ماأحسست حتى الآن بمقدمك . انني اطلبك بغريزتي ، وافتش عنك وأشتاق اليك كما يشتاق التراب الجاف الى قطرات المطر . كم مرة هللت معتقداً انك أتيت.وأنك وصلت بعد تأخرٍ طويل.لقد كنتُ كاللوزة، وقد ضحكت منها أشعة الشمس في أيام الشتاء . كانت روحي كاللوزة تستعجل ان تزهر ، وهكذا كانت تتجمع الازاهير ، وقد بقيت بعيدة، كانت تتكدس فتذريها الريح الباردة فوق جفاف الارض . والآن، وقد أخذ شبابي ينحني رويداً رويداً نحو المغيب . الآن ، وقد انقطع آخر أمل بمجيئك ، وامحى كل رجاء ، أخاف ان تكون قد مررت في أعماقي دون ان اراك .

أمنية

كم تمنيت ان افتح قبر والدي ، وان أحفره بيدي ، فأخرج تابوته لأراه ، وأرى مافعل بجسده البرد القارس ، والليل الدامس ، والتراب الرطب ، كم تمنيت ان اضم الى صدري صدره البارد ورأسي الى رأسه ! تمنيت ان اكون كفناً الف جثته ، ووسادة يدير فوقها رأسه ، وحلماً من أحلام شبابه يطرقه في منامه . تمنيت ان أكون دعاء والدته يعيد إلى جسده الدفء والحرارة . أن أكون كل ماعمل من خير ! ان اكون أدعية الفقراء الذين واساهم في حياته . أن أكون سماء فأحتضنه ، ونعيما فأسبغ عليه أشعتي ، وغيمة بيضاء فأحمله بعيداً ، ونسيم أيار فأداعبه برقته . ان اكون نجم الصبح لأشع فوق جبينه ، وابتسامة العذراء لأفتح قلبه . ان اكون صليباً لأبقى فوق ضريحه وندىً سماوياً لأبلل مثواه ، وشجرة باسقة الاغصان لأظلله ، وعصفوراً لاغني له ، وزهرة لأعطره ، وسراجاً موقداً لانيرة ، تمنيت ان اكون القبر كي لايبقى أبي وحيداً .

أحلام

أيتها القصور القائمة في أعماقي ، ياقصور الاحلام لقد غمرتك شموس ضاحكة ، وانتثرت فوقك غيوم مذهبة ، وضحك الفجر في

نوافذك، وأغفى النسيم لحناً فوق سطوحك المصنوعة من العاج والعقيق.

أيتها الاحلام الضاحكة في سري، لقد رفّ جفن النور فوق ضيائك ورقص النغم في هالة بهائك، وعندما أراد الغروب ان يؤرجحك في أرجوحته المجبولة بلهاث الغيوم، وتنهد الشعاع، لوحت بيديكِ للغروب، فمال عن طريقك، فسقطت الشمس في البحر، وعبرت الى ماوراء الشفق.

أيتها الاحلام، أنا اريدك ان تكوني كهذا الشعاع الضاحك في ضميري، كهذا النغم السابح في أعماقي، كصدىً لنغم يحرك الدنيا بالموسيقى. اريدكِ أن تشتعلي خلوداً، حتى إذا سبحت، ذهّبتِ الكون من الرشاش المنثور في جناحيكِ، رشاش العوالم الخالدة التي تجوبينها.

أيتها الاحلام. ياأحلام حبي، أنا لاأريدك نهراً يجتاز المروج الخضر، ولا أريدك بحراً تقف أمواجه عند شفاه الشواطىء، ولا أريدك ان تكوني بحراً تعبره القوارب، وتلوح لك الأشرعة، وقد داعبها النسيم. أنا اريد نهراً ينبع مني، وينتهي اليّ، وبحراً شواطئه في قلبي، وخيالاً في خيالي يسبح فوق الموج بدون قارب ولا شراع. أنا اريدك أزلاً يتكلم فيّ بلسان الخالد الازلي.

كريازيس

ولد في أغريتو سنة ١٨٨٨ ، درس في أثينا الادب والحقوق واشتغل كموظف في الدولة وعمل في الصحافة والمحاماة .

كان شاعرا مجيدا ، أمتاز بالوصف ، وكانت صوره طبق الاصل عن نفسه وكانت الطبيعة توحي اليه هذه الصور . في شعره موسيقى ، موسيقى هادئة لا ثورات ولا تعرجات . كل ما فيه خيال يلتقط الصور ليعيدها صورا مجبولة بصدق العـاطفة .

له مجموعات شعرية منها : « لحظات عشقها » . « أغاني الليل » . « الحياة والقدر » . توفي سنة ١٩٥٠ .

قبّح الله وجهك أيتها الغربة القاسية ! كم تحملين من السموم والعذاب ! إني سأصعّد في تلك المرتفعات لأصل الى أعالي الجبل ، وسأقطع الطرق ماراً تحت ظلال الاغصان الندية الخضراء ،وسأتسلق الصخور المستمسكة في أعماق الارض ، وسأستريح على حافات الينابيع الباردة ، فأشرب الماء القراح، وسأنام في الظل لارتاح ،فأتنفس أحزاني وآلامي . وسأفكر بكل ماجرته علي الغربة من شقاء وألم ، وسأبوح بآلامي الداكنة السوداء مالئاً الفضاء بتذمّري وشجوني . ألا انفتح أيها القلب الحزين ،ياقلبي . وأنت أيتها الشفاه المعجونة بالمرارة تبسمي وغني بعض الاغاني . غني أغانيك ، وأسمعيني شجوك . أين هي الاغاني ؟ أنّى للارض السوداء ان تغني ؟ وأنّى للقبور ان تبتسم ؟ كيف يتسق لقلب الطفل الذي يحبو في بلاد الغربة ان يُصعد أغانيه ؟ ان الغربة أحزان وعذاب وحقارة وامتهان فشجر الربيع لايزهر فيها ،والعصافير لاتغرد أغاريدها ، والشمس لاتشرق بنورها، والحقول لاتخضلّ ولاتزهر. ان مياه الغربة لاترطب القلوب ،وينابيعها لاتتفجر

من أعماق الجبال ، وخبزها معجون بالمرارة والالم . من يضحك لنا في الغربة ومن يفرح بنا ؟ فأين هي قبلات الوالدة ؟ أين هي ابتسامة الاخ ومسامرة الصديق ؟ اين هي عيون الحب وكلماته الحلوة ؟ الغربة ! وما عسى ان تجد في الغربة ؟ من سيزورك إذا داهمك المرض ؟ من يخفف آلامك ، ويعطيك الدواء الشافي ؟ واذا غشيتك الايام القاسية ، وزارك رسول الموت ، فمن يسهر عليك ويطبق أجفانك ، ويضمخ جسدك بالعطور ، ويكفنك بكفن حنانه ؟ قل لي من ينثر على جسدك الزهور ، ومن ينحني فوقك باكياً متفجعاً ؟ ومن يندبك بعبرات الدموع والأسى ؟ آهِ كيف يُدفن الغريب في بلاد غريبة وكيف يحمل الى ظلمة القبر ؟

قبح الله وجهكِ أيتها الغربة ! الى من أبوح بآلامي ومن أحمّلها ؟ أأبوح بها الى الطرقات فيمر المسافرون ويحملونها معهم ؟ أأتركها فوق الغصون فستأكلها طيور البرية ، أأبكي ؟ لاأدري أين تسقط دموع مرارتي وحرقتي . فاذا سقطت في التربة السوداء أجدبت التربة ويبست فيها الاعشاب . وان هي سقطت في النهر نشفت مياهه ، او في البحر أغرقت كل المراكب السائرة فيه . أأحملها انا ؟ انني اذا حملتها حرقتني وسممت كياني . فقبّح الله ثم قبح الله وجهك أيتها الغربة القاسية ،

ما أكثر ما تحملين من السموم والعذاب !.

تطريز المنديل

على شاطىء البحر جلست صبية شقراء ، وفي يدها ريشة جميلة تطرز بماء الذهب منديل العريس ليوم الزواج المرتقب. أخذت ترسم، فرسمت البحر وكل جزره ، والسماء ونجومها اللماعة ، والارض وما فيها من زهور جميلة ، والجبل الكبير العالي وقد اطل الفجر من وراء قمته ، فاصطبغت القمة والسماء بخيوط وردية بيضاء . لقد رسمت المياه الصافية الفضية المتبخرة من سفح الجبل ، الراكضة في ارض حفرتها بعد طول السنين . لقد طرزت الحقول بخيوط حريرية زرقاء ،ورسمت على الشواطىء ، وتحت السفوح قطعاناً من الاغنام ، فبان في الرسم رعاة يحملون نايا تهم تخالها مرسلة اليك أغانيها القروية ، فتصل أصداؤها ضعيفة حنونة . صورت تحت قدمي الجبل بحيرة زرقاء ساكنة ، وقد نبت على شواطئها قصب مذهب ، ولاح من بعيد صياد يحمل شباكه ويهيىء طُعمه. وحوالي هذه البحيرة حقل واسع مفروش بالعقيان،وفي وسط الحقل نهر ساكن له التواءات الافعى نبت على جوانبه الغار والآس وشجر الدلب ، حيث عششت البلابل ، وغردت الحساسين حتى لتحسب النهر السابح في ذلك الحقل يسمعك صوت المياه او تشم

رائحة الغار والآس ، او انك تسمع صوت النهر مدمدماً في آذان الاوراق الندية ، صورت غزالاً واقفاً على حافة النهر ، وقد حنى رأسه ليشرب من المياه البلورية فاذا به والصياد يدركه ، فيرميه ويجرحه ، فيلتفت الغزال ، وينظر بألم الى جرحه ، فيتلوى ويحاول ان يتخلص من محنته ، فتخاله في تلويه كأنه يطلب مساعدة من السماء ومن الاشجار . وعلى اطراف الحقل صورت قرىً وحقولاً مزروعة بالسنابل الذهبية . رسمت البيادر والكروم الخضراء والعنب الاصفر كالشمع وصبايا جميلات يدخلن الى الكرم وعلى زنودهن سلاسل محبوكة من القصب ليملأنها بالعنب .

لقد صورت عرساً ملكياً في قرية من تلك القرى ، صورت العروسين ، كما صورت بنات البحر وحيتانه وشطآنه وقد صعدت أغانيها ، كما صورت جمال الشباب والغنى والمجد . لقد صورت كل ذلك بتلك الريشة الجميلة فوق منديل العروس ، منديل الزواج المرتقب صورت كل ذلك وهي تردد أناشيدها : أيها المنديل المذهب ! من هو ذلك الشاب الذي سيأخذك بقبلة حارة عذبة من يدي ؟ من هو ذلك الشاب الذي سيملكك ؟ من هو ذلك الشاب الذي سيأخذك بخاتم صغير يامنديلي الغالي ؟ وسيقودني الى مخدع الطهارة لأكون عروسه البريئة ،

من هو ذلك الشاب؟ قولي لي أيتها الاشجار! قولي لي أيتها الاطيار! دمدم ايها الشاطيء الهادىء وتمتم ايها الفضاء الازرق . قل لي ايها الفكر المجنح يافكري ! لماذا لااسمع جواباً ؟ لماذا لاتحملون الي هذا السر في ليلة من الليالي السرية كحلم ذهبي عذب ؟ لماذا لاتحملونه الى احضاني ؟

* * *

كالفوس

ولد الشاعر كالفوس سنة ١٧٩٢ وكان والده متشردا . اشتغل جنديا وبحريا ومارس التجارة . وكانت أمه موضع حبه وتقديره ، وكان دائما يبكي كلما لاحت له ذكراها وكان يقول : أيها الصوت يا صوت أمي أيها العزاء لسني الغابرة أيتها العيون التي غسلتني بالدموع.. ان حب أمه كان يرافقه. لقد عاش معها ، ورضع من حنانها ، وربي بعطفها ، عندما كان والده في شروده الدائم يتنقل من مكان الى مكان ، وكان آخر المطاف أن ترك زوجته وعاش في أوربا وكان الشاعر يحب وطنه وخصوصا جزيرته التي ولد فيها . وكان يشعر بالقسوة الظالمة التي فرضتها الفاقة على أبناء وطنه وكان يتألم، وكان لايطاليا واوربا الاثر الكبير في تطوير عقلية الشاعر ، وشحذ عواطفه . وكانت للاحتفالات الوطنية والخطب التي كانت تلقى في المهرجانات ردودها في نفس الشاعر ، وخصوصا والممجّد في هذه الخطب ، انما هي الحرية ، فكانت الجوة الكامنة فيه ، وعشقه الطبيعي للحرية كيوناني أصيل ، تتقد وتثور وتصبح عاصفة .

لقد تعرف وهو في ألمانيا على أحد مواطنيه فوسكولاس وكان لهذا الشخص تأثير في تطوير شخصيته الشعرية فانكب على الدرس والمطالعة تاركا جانبا عالم التجارة ، وانصرف الى الشعراء يسمع منهم والى المطالعة يغترف منها . لم يدرس الشاعر في المدارس بل درس على نفسه . وكان يرى أن اللغة

اليونانية الحـديثة لم تكن لتكفي في تطوير العـالم الفكري اليوناني تطويرا يتفق مع ماضيه الغني بالاشعاعات . وعنده أن الفن يجب أن يكون ساميا متشحا بالعظمة . وأن يرتبط ارتباطا بالمشكلات الكبرى التي عالجها الانسان قديما وأن تكون اللغة على مستوى عال تعلو عن اللغة التي يتخاطب بها الشعب وخصوصا لغة الشعر ، وان تحرر الشعر من قيود القافية لان العاطفة لا تحدها القوافي ولا تعبر عنها كلمات بقوالب كسيحة . كانت حياة الشاعر عبارة عن ألم دائم ودموع لا تنقطع . يبكي اذا لاح ذكر أمه في خاطره . ويبكي اذا شعر بأن انسانا يتألم . ويتألم اذا عرف أن هناك من يتألم ويتوجع ، ان حياته كلها حس مرهف ، وشعور بان الكون يجب أن يتخلص من كل ما يسبب الدمع ، وما يقود الى الالم . تزوج فماتت امرأته وابنته . عاش في الفاقة والحرمان . لذلك نرى أن طابعه الشعري طابع حزين يقوم على الخيال المشبوب بنار الالم . له مجموعة شعرية بعنوان ((القيثارة)) وانتاجه الشعري القليل يعود الى حياته الخاصة المضطربة . كانت وفاته سنة ١٨٦٩ في بلاد الانكليز .

الى ميت

كيف جئتُ الى هذا الهيكل القديم الضخم ؟ ولماذا رأيتني راكعاً في حناياه؟ لقد لف الليل العميق بجناحيه المسكونة كلها فغرقت في الظلمة الدامسة الباردة .على رسلك ياهذا ! ان بقايا القديسين ترقد في هذا المكان . حذار من ان تعكر على الاموات راحتهم المقدسة . ان هدير الرياح الثائرة تخدش مسامعي، وهي تهاجم نوافذ الهيكل فتفتحها على مصراعيها . والغيوم السود ،وقد فكت عقالها ، انطلقت راكضة تحت القمر الباكي الناثر تبره فوق الغيوم الجامحة ، وفي المقبرة شموع منطفئة، ومباخر خرساء ، ونور ضئيل باهت ينير شواهد القبور الباردة.

إلهي ! ايها السرمدي بقوتك ! ماذا دهاني وما هذا الذي أراه؟ لقد قف شعر رأسي ، وانحبست انفاسي . ان شاهدة القبر تنشق ومن وراء الشقوق يلوح شيء كأنه الفجر يتقدم نحوي . هاهو يخرج خارج القبر فينتصب امامي . ماهذا ؟ لقد صار امامي . هاهو يتشكل حتى يستوي بشراً ، من انت ؟ أإنسان حي يسكن القبور ؟ أتبتسم لانك تركت الجحيم ؟ من انت ؟ اشبح انت ؟ قل لي أمخلوق انت ام خيال

عقلي المشوش المضطرب ؟ لاتسل ولا تبحث عن سر الموت ... ان الصدر الذي ارضعك حليبه هو امامك الآن فانظره يابني . يابني ! ياحشائي العزيزة . ان القضاء له قوانينه واختلافاته ، فلا تحاول عبثاً معانقتي . كفكف دموعك ، وهدىء اضطراب قلبك ، لاشك في ان رؤيتك قد افاضت الدموع من عينيك . تبسم وافرح ياصديقي بقدر ماتستطيع . فاذا كانت المرارة قد استولت عليك لأني هجرت الشمس فتعز . لماذا تبكي ؟ انك تجهل حالة نفسي . ففي هذا القبر يرتاح جسدي من العذاب والتعب . اجل ان الحياة عبء لايحتمل ، وآمال الحياة ومخاوفها ، وافراح العالم واهتماماته تعذب النفس البشرية . فنحن الاموات نعيش في سلام ابدي ونتمتع به دونما خوف ولا حزن . ونحلم احلامنا مطمئنين لاتزعجنا المخاوف ، ولا تطرق بابنا أيدي الالم . إنكم ابناء الحياة والجبناء منكم ، ترتعبون عندما يهمس احد في آذانكم باسم الموت . فالموت لامفر منه ولا مهرب ان الطريق الى القبر واحدة ، تدفعنا اليها يد الضرورة دفعاً فلا نقاوم ولا نصارع . يابني ! لقد رأيتني الفظ انفاسي الاخيرة ، وكانت الشمس تدور حولي ، وقد أحاطت بي العنكبوت ، فلفتني بنورها وقادتني الى اللحد . فالنفس التي لفظتها ، هي نفحة من روح الله ارتفعت الى الله . أما جسدي الترابي فقد رجع الى أصله ، الى هذه

الحفرة الترابية الباردة .لقد غاب نور القمر . إني أتركك يابني وسأراك بعد ان تترك الحياة . سأراك إذ ذاك . اذهب بحراسة الله . لااريد ان أقول أكثر من ذلك . إنني اريد ان انير ضميرك ، وعندما نلتقي سأفتح لك كل سريرتي . فافرح ! افرح يابني . استودعك الله .

لقد انتظر الابن ولم يتحرك ، فاذا بي وعيوني شاخصة في ظلمة عميقة . ياللصوت ! إنه صوت أمي . ياأماه ! أيتها السنون الخوالي! ياسني الطفولة ! أيتها العيون التي تذرف الدموع فوق مهدي محبةً وتحناناً . أيها الفم الذي طالما قبلته بحرارة وشوق ومحبة . ياللهاوية ! إنها سحيقة تلك الهاوية التي تفصلني عن أحضان أمي. الهاوية . وما همني من الهاوية ومن عمقها ؟ سأذهب اليها وقلبي مفعم بالسكينة . أريد ان احطم هذا الكيان الجسدي لافتش عن ساكني القبور . ان شفتي تستطيعان الآن ان تقبلا أقدام الموت ،وان تكللا الجماجم بالورود . أين هي الورود؟ إليَّ بها . اعطوني من الأكاليل التي لاتذبل ما قدرتم ان تعطوا. اليَّ بالقيثارة .هللوا ورتلوا .لقد صار عدو الانسان صديقاً ، ان ذلك العدو الذي عانق جباه النساء الناعسات ، لايستطيع ان يبث الذعر والخوف في قلوب الرجال . من هو ذلك الانسان الذي يحس نفسه في خطرٍ من هو ؟ إني أنظر الى الموت بشجاعة . إني أحمل مرساة الخلاص بيدي .

إني أمد ساعدي القوية لأمسك سلاسل الظالمين العتاة لأقطعها وأدوس على صولجانات الملوك المتقطرة دماً ودمعاً ، وأحرق العصا القاسية، عصا المخاوف والشعوذات . أجل! إني أمد يدي لأحرق البخور فوق هيكل الحقيقة. إني أجمع البخور أكواماً وأذروها بيدي فوق القبور . وكما يطير النسر من قمة الى قمة ، هكذا أطير أنا فوق قنن الفضيلة واتخطاها قمةً تلو قمة وهكذا أجتاز طريقي .

الاوقيانوس

أيتها الارض : ياهتمام الآلهة ! يابلاد اليونان . ياأم الابطال . ياوطني العزيز الحلو ! ان ليلاً طويلاً من الشيوعية ، من العبودية ، قد أسدل ستاره فوقك . إنها أجيال من الليالي الطويلة .

في صحارى السموات من الفضاء البعيد ، مد ديجور ليلي شباكه الواسعة الحزينة . وفي أعماق الظامة العميقة في الابعاد التي لاتنتهي ، كانت النجوم تتحرك بسكينة مؤلمة . لقد ضاعت المدن ، واختفت الاحراج ، ونام البحر ، وغفت الجبال ، وتوقف ضجيج الاحياء . ان الطبيعة في الممالك الظالمة المرعبة لاشبيه لها غير الموت . لاصوت لنشيد، ولا صدىً لأنة .

ان لهيباً مذهباً يشعل معابر الرياح، وتلمع السموات من الصراع

الطويل ، وتحترق بالنار لـبَدُ الاسود . لقد أخذت تتفتح الازاهير في أحضان الصباح الندية ، وتظهر بطولات أهل فيلبي . شفاه الايام المعطرة تقبل جبين المسكونة المستريح ، فتهرب الاحلام ، ويولي الظلام . نوم وسكون . الحقول والبحر والهواء تمتلىء بأصوات القطعان ، وتردد نشيد الغابات . وعلى فم المذود ، يظهر الاسد الكبير والنسر يترك الهاويات السحيقة ، ليضرب الشمس بجناحيه فتنشق الغيوم ، ويضج الأولمب .

ان أجيالاً من الليالي ، ليالي عبودية طويلة ، غمرت اليونان بالحزن . عار الرجال ، أم مشيئة الخالدين ! لقد كانت بلادي كهيكل خرب ، لا يرتل فيه مزمور ، وأوراق كيسو تغفو هادئة . فيا ابنة ديوس البهيَّة . أنت السلوى الوحيدة للعالم . أنت التي تذكرت ببلادي ، انت أيتها الحرية . لقد جاءت الآلهة الى شواطىء جزيرتي ، فمدَّت يدها ، والدموع في عينيها وقالت : أيها المحيط . يا أبا البلاد الخالدة استمع لصوتي ، وحقق لنفسي شوقها الكبير . لقد كان في اليونان عرش مجيد . لقد اغتصبه الظالمون منذ أمد طويل فأعني وأعد عرشي . عندما أهرب من الجهلة المائتين ، تستقبلني أحضانك الابوية . ان رجائي يرتكز على محبتك . مال فانسكب المحيط في المجاري ، واستنارت المسكونة بنور

غريب، فلمعت بروق الامواج، كما تلمع بروق السماء، وأشعت الشمس، وتبددت الغيوم، ورف جناح الحرية فوق عرشه، بعد ان اغتسل العرش بالدم، وتطهر بالنار.

وطني

ياوطني الحبيب! ياجزيرتي الرائعة! أنت أنتِ التي وهبتني نسمتي. أنت التي أعطيتني هدايا ابولون الذهبية. لك أقدم التمجيد فاقبليه. ان الخالدين ينقضّون كالرعود فوق الرؤوس العاقة الكارهة لعالم الروح، لن أنسى، لن أنساك ياوطني وان كان القدر قد رماني بعيداً عنك، لقد كنت في القرن الخامس من عبوديتك غريباً في بلاد غريبة، وعندما كان النور يغمر جبالك، والموج يتكسّر على شواطئك كنت أنت أمام عيني، وكان السرور والألم يتماوجان في بياضهما. وعندما كان وشاح الليل يستر ورود السماء المشعة، كنت أنت فرحتي، كنت حلمي الدائم، لقد كانت خطواتي تنيرها أنوار افسانيا، هذه الارض البهيجة. ان الشمس هناك نقية، والريح في قهقهة دائمة. هناك يفرح الشعب ويغتبط. هناك ترقص عرائس الشعر، هناك تكلل اوراق الحرية، اوراق الانعتاق فيثارتهم الصدّاحة.

ان مياه البحر تندفع بوحشية لترتمي على الصخور الجاثمة أبدياً،

وتتمزق بقسوة ، لقد نبت الغار فوق جبل الايمتوس ، ونورت أوراق من نور فوق خرائب البرثينون . شباب ونساء ، وشيوخ ، أسود اليونانيين يتصافحون ، ويتعانقون ، ويكللون رؤوسهم بالأغصان والازاهير . ابتعد أيها العثماني . هيا ابتعد . ان الهاوية تنتظرك . ان اسود اليونان تطاردك . ألا تسمع الضجيج . ألا ترى بريق السيوف ألا تسمع صراخ الاموات ؟ ألا تسمع صوت الحرية داوياً في أنفاسهم؟ هيا يا أبناء اليونان . لقد ازفت ساعة المجد . لقد آن لنا ان نتشبّه بأجدادنا . ان المجد اذا شحذ حد السيف ، تفجر السيف بالصواعق ، واذا غلى دم اليونانيين فمن يستطيع ان يغلبهم ؟ لماذا ترتجف أيها العثماني؟ ان اسوداً تطاردك . ان المجد يدفعنا الى هذا الصراع ، صراع الامل والشرف ، صراع وطن خلق الحرية وعاش لها .

* * *

زالوكوستا

ولد سنة ١٨٠٥ . عاش في ايطاليا مع والده الذي ترك اليونان تحت ضغط العثمانيين . أحب زالوكوستا التصوير ، وعكف على درس الادب الايطالي والادب اليوناني . عندما أعلنت الثورة اليونانية ضد العثمانيين عاد مع والده واشترك في الثورة ..

لقد مر الشاعر بحالات مؤلمة بسبب المصائب التي توالت عليه . لقد مات أبوه وأمه في يوم واحد، وفقد أولاده السبعة في حرب التحرر . وكان هو من أشد المدافعين والمحاربين في الثورة اليونانية .

ان هذه الآلام التي نزلت به كانت سببا من أسباب يقظتـه الشعرية ، وتنقية هذه النفس الشاعرة . وكان شعره يدور حول المصائب التي حلت بعائلته مطبوعا بهذا الالم الخفي ، ويمتـاز بالتعبير الواضح والقوة في أداء المعاني الشعريـة بلغة محكمة .

له مجموعة شعرية . مات سنة ١٨٥٨

الشاعر

ان المصيبـة لا تهجع ... على السفوح ارتعاشات وارتجافات . الفجر يشع والظلمة ماتزال تغمر البطاح والهضاب والجبال والصخور .. الأعشاب تشرب ندى الليل ، والحسون يطلق أغانيه الجميلة ، والنسيم يجرح أحشاء الموجة ويخددها . بنات البحر يحكن في مخابئهن أكاليل من ذهب ، يضعنها على قمم الجبال أمام حشدٍ من الملائكة .

ياللفجر الجميل ! الطبيعة تعطرها الزهور والاوراق والاغصان . وياالسعادة ذلك القلب الذي لا تصفعه الآلام !

بالقرب من العين ، وقف شاب صنعته الاقدار . وقف يحدق بالارض ، بشكلها القاتم ، متكلما مع الوحـدة المرة متأوهاً متحسراً . أيها الليل العاق ! ان شكلك يشبه روحي . كم سحرتني أيها الليل ، وكم رأيتك مفرحاً جميلاً ، وأنت جالس الى جانبهـا ؟ اسمع كيف تتناغى البلابل مزدوجة فوق الأغصان . أما أنا . أنا الحزين الشقي فخيال يطارد أشباحاً في الادغال المقفرة ، لقد كانت هـذه الادغال فيما مضى فردوساً لناظري ، وهذه العين نعيماً لخاطري . يالطفولة اولئك الذين

يرون خيراً في الحياة ! لقد خدعتني الأحلام فآمن قلبي بأحلامي . كما آمن بالسماء السعيدة . تكلمي يا سمانى الجبل . إنك شقوتي وآلامي. أجل لو كان بينكن من تبكي يتمها وتتألم لحظها فلتبك بصوتها الرخيم يتمي القاسي .

كانوا يسمونها ذهبية . وكنزي كان ملكة في الرقص ،وكانت أول من طرق باب الكنيسة . حاجباها كخط القلم ولم يكن فيهما من عيب . أما عيناها فكانتا بلون البحر ، وشفتاها كالعقيق . لم ينفعها الشباب . لم ينفعها الجمال أمام ظلمة القدر الغاشم . لقد رآها ملاك الموت القاسي ، الملاك الذي يطارد الارواح ، فطاردها . فيا أيتها الزنابق والبلابل والينابيع التي عرفتها . بربك لا تنعتيني بالقاسي إذ ما أبصرتني أعيش وحيداً في هذه الأرض بدونها . ففي هذه الارض أجر نفسي كأنني هيكل وغبار وعبء بغيض . أريد من نفسي ان تحترق لان حياتي جحيم . وعيدي الاكبر إنما هو رسول الموت .

سمعه رسول الموت قبل ان ينوّر لوز الحقول فجأة وكان نائماً ملحَداً فغرس فوق القبر شجرتين ارتفعتا فظللتا تراب القبر. وكلما هب النسيم تعانقت الشجرتان كانهما شقيقتان .

الى القمر

إن أيامي كانت مشرقة ، واليوم أراني أتألم وأتوجّع . وأما أنت

فلا يعروك ألم ولا وجع أيها القمر الحبيب . مالك حزيناً وأنت المعلق في كبد السماء ؟ لماذا تغمرني بنور حزين كأنك تنير ميتاً في قبره، أنت الذي سحرت الموج وذهّبت الارض بنورك العسجدي .

أيها القمر ! لاشك ان في ملكوتك ملائكة يسرحون ويمرحون، ولا شك ان ملاكي بينهم ... أو ليست هذه القبلة الحزينة التي ترسلها بواسطة خيوطك قبلة سرية يرسلها ملاكي ؟ إذا كانت خيوطك هي روح ولدي فرجائي إليك ان تحمل اليه تنهداتي أيها القمر الحبيب، وتقول له ان روحي لاتخاف المصيبة لأني دفنت أفراحي وأشواقي كلها في تربة قبره . أرجوك ان تقول لولدي ماقلته لك . فاذا سألك متى ينتهي النوح والحسرات فقل له عندما تقبل خيوطك الحزينة شاهدة قبري الرخامية .

الى نفسي الراحلة

الى أين تذهبين يانفس ؟ الى أين تذهبين ، وشجر اللوز ينور ، والعصافير تتراقص فوق الغصون وتتعانق وتتشح بثوب عرسها . والبحر الذهبي يلمع ، وزنابق الحقول تتضوّع عطراً ؟ الى اين تسافرين هذه السفرة الحزينة ؟ ارسلي أيتها النفس تضرعاتك . صعديها الى السماء وانتظري . حذار ان تتركي في التراب الاسود جسدك الجميل ، وشعرك

الاشقر الطويل حذار يانفس ان تتركي روحاً يُحنّ اليها ! حذار ان تتركيها وحيدة . انظري كيف أبكي وأتألم . وانظروا أيها الملائكة ودعوا روحي تقف فوق جمال الزهور ولُعَب الاولاد . قولوا لها ان تحول نظرها . بل قولوا لها ألا تغتر بألاعيب الناس في هذا العالم ولا بالزهور العطرة . قولوا لها ان تستمع حزينةً باكية ، أغاني الموت الحزينة .

رميلُدا

لمّا استيقظت من نومي ، قيل لي ان البنت التي كنت أحبها قد هربت . فركضت الى الشاطىء ، وسألت البحر ان يخبرني عنها فأجابتني أمواجه الهائجة: لقد احتضنتها اول موجة اندفعت الى الشاطىء . لقد احتضنت جسداً غضاً ، فركعت على الشاطىء وقبلت رماله . ولما سألت الامواج هل رأت دموعاً في عينيها ؟ أجابتني ان فتاتي كانت كالطائر الغريد الذاهب الى بلاد غريبة . ولما سألتها لماذا تركتني أبكي وأتوجع ؟ مرت الامواج صامتة لاتجيب سؤلي .

المجدلية

في داخل القصور صدحت الموسيقى كأنها تتصاعد من أعماق الكهوف ، وانعكست الانوار المخنوقة ، وأضواء الأواني الفضية

اللماعة على الخدين اللذين مارأتهما الشمس ، وراحت ظلالها تتمسك بجمالي كأنها لاتريد مفارقتي ... اما صوتي الفضي فكان ينبعث منه نغم قاتم أجش .

لقد كنت لبلاد اليهودية ، في اطرافها الاربعة ، معيناً للجمال لاينضب . وكنت قمة أزهر فيها شجر الكباد الذي لايذبل . ان الارض لم تعرف أتوناً كأتون جسدي ولا أحضاناً عامرة بالثورات والزوابع كأحضاني . ان حبي تغلب على رومية الغالبة ، كان داخلي جفافاً وقفراً تغمره ظامة عميقة . والقهقهات المرة كانت تتراقص فوق شفتي الناعمتين . ان انساناً مجهولاً يبدد عن قلبي الخوف فجأة ، فتنحبس انفاسي وراء ردائي الواسع ، وتلوح لي من أقمة النصر نهايتي السعيدة .

ما كنت جميلاً للغاية ، ولم يكن فيك شيء غريب . كنت تتطلع الى الارض حينما تتكلم بهدوء وسكينة ، تكلمت كثيراً فابتدأ عقلي يتجه اليك اتجاهاً جديداً ، ولما رفعت عينيك لم اجسر على ان احدق بهما . لقد شعرت باندفاع شديد لاتمرغ تحت قدميك ، وشعرت بروحي العذرية التي تفتحت تهتز وترتجف . لقد شعرت بالسعادة فأخذتها بدون ثمن ، وتذوقت الحرية في عبوديتي لمثالية صحيحة . اما اللذة القصوى

فتذوقها بالألم الدافع الوحيد الى المعرفة الحقيقية .

لقد وزعت على الفقراء والمساكين كل ماملكت يدي من فضة ، وماس ، وحرير ، وحقول وقصور ، وسرت اتتبع خطواتك التي كانت الريح تمحوها عن الرمال ، لقد محتها ريح المغيب ، فاستحالت الريح الى نور أنيس فوق الرمل ، وفي أعماق الروح وفي ملء سمع الانسانية ونظرها .

إنك لم تقل شيئاً جديداً ، ولا جئت بكلام جديد او قديم ، لقد قلت أشياء قالها الكثيرون قبلك في العصور الخالية . إنك لم تقل شيئاً ، ولكنك تملك قوة السماع فتسمع وشوشات السماء ، وترى قلب الله الصافي ، هذا القلب بجماله وصفائه ، ان جموع البشر ، حكماءهم وتلامذتهم ، وأنسباءهم مااستطاعوا ان يدركوا عجائبك التي خلفتها وراءك ، فاذا كنت تتوقع من هذه البشرية المارقة الكاذبة ان يعمل فيها عملك الخلاصي ، فالانسان الوحيد الذي عرف كم كنت انساناً هو أنا ... أنا التي استطعت ان أعرف انني وحل وغبار وأنا الوحيدة التي سأقيمك .

* * *

أراكِ

أراكِ خيالاً محفوفاً بالنور ، وألمحك في فكري هيكلاً يتضوع بالبخور ، وأحسك بدمي حرارة فيها دفء الشعاع ، وأغفو ، وعلى جبيني خطرات طيفك يلامس أطياف فكري ويدغدغها كما يدغدغ الأمل قلب اليائس الحزين .

ينتشر عطركِ في أجواء نفسي ، فتسكر هذه النفس ، وألم ورودك بأهدابي قطرات من ندىً فضي . وأمسح الحب بمنديل روحي فيزهر شذا وعطراً ، وأغرق في غمامه حباً خالداً كخلود الأزل.

عندما تفتح الزهرة فمها لتبث عطرها ، تكونين هذا العطر . وعندما يقف الشعاع فوق الافق تكونين جمال هذا الشعاع . وعندما ينسدل فوق البحر ستار السكينة تكونين سر هذه السكينة . وعندما يتنفس الوادي ضباباً ، تكونين الروعة في هذا الضباب . وعندما تغني الساقية في آذان الصخور تكونين وجد الساقية وانشودتها الملهمة . تمر الدنيا ، وأنت باقية في روحي وعقلي وجوداً يتكلم جمالاً وخلوداً.

أورانيس

أحبها

أحبها كما تحب الصفصافة ماء الغدير . أحبها كما تحب الموجة السكرى الشاطىء الذهبي . أحبها كما يحب الوادي الحالم الضباب المعجون بزبد البحر . أحبها كما يحب النسيم المروج المائجة بالأزاهير . أحبها كما يحب النسر قمم الجبال ، وكما تحب الشمس شفة الفجر وأجفان المغيب . أحبها كما يحب الليل ارتعاشات النجوم ، وكما يحب القمر مغازلة البحيرة . أحبها روحاً تحوم فوق سديم نفسي ، وعنفواناً جارفاً يفور له وجودي . أحبها نغماً ينساب في وديان آلامي ،وأغنية ألمها على أهدابي قطرات من ندى . أحبها نشيداً اقطفه بشفتي العطشى ،وحداء أرقص له كلما بكيت آلامي .

أورانيس

بيتك

لم يتغير شيء في بيتك . انه لما يزل كما كان ، لم يتغير الطريق ، لم يتغير الجيران . لقد جف فقط النبع القديم الذي كان في الزاوية المقابلة لبيتك .

لم يتغير شيء في بيتك ، وكعابر سبيل أمرُّ به . لقد نسيت عدد السنين التي مرت دون ان أمرَّ به ومع ذلك لما أزل كما كنت أحنُّ اليه .

إني أذوب شوقاً لتفتحي النافذة ، وأن أصادفك فجأة في طريقي باسمة أيتها البنيَّة الشقراء يا انبلاج الاصباح في نيسان .

إن النافذة لما تزل موصدة . وماذا لو فُتحت ، ان اخرى ستلوح منها ، ولكن ستطلين أنت في نافذة الذكريات ، كما كنت دائماً .

الرذاذ الاول

للصيف بهجة . من يستطيع ان ينكر ذلك ؟ لا أحد . ولكن للرذاذ الاول الخريفي حلاوةً مميزة . إن شجر الحور ينشر اوراقه الجافة فوق التراب الرطب فتلمع كأنها قطع من الفضة المجلوَّة . والصنوبر المغسول

بالمطر ينفث عبيراً كعبير المباخر ، والاشواك الندية المبللة بالماء تقوم مقام الكؤوس للطيور العطشى .

إن شجرة الدلب وقد هزتها الرياح تقف بعريها كالمارد تصارع بأغصانها الممتدة كقرون الأيل الزوبعة العاتية . وفي السروة ، في هذا البرج ، في هذا القصر ، يتصايح الدوري ويأكل ويأوي عند المغيب لينام . من يستطيع ان يجد سريراً دافئاً كهذا السرير .

وفي كل صبح ، كناي الراعي ، كصوته الآتي من الأعماق ، يوقظني صوت صديقي الذي كان يطرق مسمعي في سني طفولتي .

عودة

إنها أضاحيك الذكريات واخاديع العيون ، إنك إذا تذكرت بالماضي القديم وجدت كل شيء كأنه لم يتغير ، الطيور المغردة ذاتها والاغصان بما ترميه من ظلال ، والمياه الراكضة فوق الحصى الفضية . ومع ذلك فالاغصان غيرها ، والاوراق غير الاوراق ، والطيور غير الطيور التي كانت تغرد ، والمياه غير المياه التي كانت تكر جارية . لاتخدعنك عيناك ، لاتخدعنك الذكريات الخادعة . أتعرف من الذي بقي دون ان يتغير ؟ حدق بالفضاء .. إنها النجوم .

كفّاها

إن كفيها شفافتان ناعمتان طريتان ، تخالهما وهما مفتوحتان نصف انفتاحة اصدافاً نزع منها ماسها ، وإذا اطبقتا بدتا كأحجار سحرية عجيبة مليئة بالجواهر . إن كفيها تعطيان ولا تأخذان . إنهما لا تحصدان ولا تزرعان ، إنهما مخلوقتان للعطف والمحبة والمداعبة. تشعان كما يشع القمر في الظلمة . ان كفي انتيغوني كفّا قائدات العميان ومعزيات الآلام الخفية . انهما كفّا المجدلية تحملان الطيب في اوقات الصلاة . اي نوع من الدعاء تستطيع ان تقدمه روحي لك ؟ الا يدميها مسمار صليب قط .

ذكرى

عندما تكون الذكرى حرماناً من السعادة الدائمة فانها تعذب وتضني حتى ولو كانت مرارتها مجبولة ببعض الحلاوة ولكن عندما نعود الى الابعاد البعيدة ، على جناح الامل لنرى في مغيب الشمس صبحاً فان الذكرى تصبح غبطة وسروراً .

مريضة

يالألمي ان اعرف ان شبابك يتقلب فوق سرير الألم أرقاً ، وان أمر امام بابك بخطى عابر لا يبالي ، وأرى نافذة غرفتك مقفلة على نور

الشمس فأحدّق بشوق عميق متسائلاً ، ثم اعبر دون ان استطيع المجيء الى جانبك كما تجيء ام او اخت لأهدهد أرقك وأقول لك بعذوبة : نامي . وأضع فوق أجفانك التي لم تعرف النوم غطاءً من ازاهير الليل ، وأرطب شفاهك المرة بعصير الاجاص العطر واحليها ، وأحيك فوق جبينك اكليلاً من الياسمين ، وأرش بالندى المتساقط من النجوم يديك. وعندما تغرقين بالنوم المريح ويدور رأسك فوق الوسادة سأفتح الباب وأخرج متسللاً مخافة ان ازعج طمأنينتك .

عندما تقبلين

لن تجدي بابي موصداً إذا جئت وفي اية ساعة تجيئين . وإذا أضناك طول الطريق فالمقعد ينتظرك . وإذا احرقتك الشمس فأشجار بيتي تنديك واذا جمّد البرد أوصالك فنيراني كلها لك ، وإذا جعت ، إذا جفت شفاهك من العطش فانك ستجدين خبزاً في معجني وماءً في ابريقي . وإذا جئت فرحة واحببت ان تعودي فاحملي افراحك معك واتركي آلامك في بيتي لاحملها عندما اعود .

تذكارات شتائية

صيف .. لقد بقيت في الموقد المقفل تذكارات الشتاء ، لقد بقي قليل من الرماد المنطفي

تذكارات شتائية، حرارة نار ناعمة وأمامها شعاع عينيك الذائبتين

تذكارات شتائية ، برد وثلوج وصقيع وأنت .. انت تحملين الربيع الى زاوية بيتي الفقير

تذكارات شتائية ،لقدأعطيت للوز اليابس زهره ،وللاطيار أعشاشها

تذكارات شتائية ، وفي الموقد الموصد . ماذا بقي في الموقد الموصد من كل هذا ؟ قليل من الرماد المنطفي

رثاء الجميلة

لقد بلغني خبر موتك. كان خبراً مراً..لقد دفنت في المدينة،ياسيدتي، كما يدفن الأسياد .. لقد حملني عقلي كفارسٍ يسير على مهلٍ .. لقد جئت وعثرت على قبرك حيث تنامين،فحفرت ترابك وحملت جسدك على سرج جوادي ونقلته الى بيتك الابوي .. لقد صرت سارق اموات .

لقد نزعت ثياب المدينة عن جسدك وضمختك بماء الورد لأبعد رائحة التراب عنك ، وسقيته بالندى الحي ليعود له شبابه الذي عرفته في مطلع العمر ، وألبسته الثياب التي تليق بك ، القميص المطرز والحذاء الاحمر والزنار العريض، وحليت شعرك المقصوص وربطته بمنديل شفاف وكللته بأكليل ذهبي . وفوق سرير مصنوع من أغصان لدنة وضعته واسندت رأسك الى وسادة مصنوعة من ازاهير البرية وجلست على عتبة

الباب أنشد رثاءك .

كنت غريباً عن المدينة ، كنت طفلاً شريداً غراً بعيداً عن الأزقة الضيقة الثقيلة الظلال ، وقادني القدر الى باب بيتك . كان بيتك فقيراً ولكنه كان قصراً في نظري ، ورأيتك تجلسين على عتبة الباب كأميرة. كانت ازاهير الحقول تتعانق فوق ركبتيك، وندية طرية تغمر قدميك . لم ترفعي عينيك لتري من يمر ، ولم أفتح شفتي لأحييك وها أناذا على عتبة الباب ذاتها انشد رثاءك .

عدت ومررت ثانية ، فرأيتك مديدة القامة لدنة مشرقة بالجرة التي على كتفيك وقد عدت وحيدة من النبع . إن خطواتك كانت موقعة ، وكانت الارض تغني تحت قدميك ، وكانت أطراف قميصك ترتجف ، كانت جرتك ثقيلة وكنت تحملينها بسهولة، وكانت يدك ملفوفة كعنق الوزة . لقد انحنيت ووضعت جرتك امام باب بيتك ، ألقيتُ سلامي عليك فلم تجيبي ، وها أناذا الآن امام عتبة الباب ذاتها انشد رثاءك

ومررت ايضاً ورأيتك. وكان مساءً وكان فرن بيتك مضطرماً وكنت تلقمينه ورق الزيتون والغار . كانت نيرانه المتأججة تنير محياك وكان الورد ينور فوق خديك والقرنفل فوق شفتيك وبؤبؤ العين كان يلمع كأنه العقيق. لقد ألقيت عليك سلامي فرحبت بقدمي وفرشت لي

وسادة فجلست قريباً منك أمام وهج النار .وعلى عتبة الباب، العتبة ذاتها أنشد رثاءك .

مررت فأزهر التراب تحت اقدامك، ومالت الاشجار لتوسع لك الطريق. ضحكت فجاوبتك الجداول مقهقهة والمياه الجارية وموجة البحر . غنيت فسكت البلبل ليسمعك وانذهل الشحرور حائراً كيف يغني. رقصت فاجتمعت حولك بنات البحر وامسكن بمنديلك ورقصن. والآن ! انك صامتة لاتضحكين ولا ترقصين ، اما أنا فعلى عتبة بابك ذاتها انشد رثاءك .

أية خمرة أسكرتك فنمت هذا النوم العميق . اخاطبك فلا تجيبين. اناديك فلا تتحركين . يداك قد تصلبتا. المسهما فلا تنحلاّن، وجفناك وقد أطبقا على نوم عميق. افتحهما فينطبقان وأرفع رأسك فيسقط مثقلاً . أية خمرة أسكرتك فلا تستفيقين .إنها خمرتك وليست من خمور الكرمة ولا من خمرة غريبة . إنها من خمرة الموت ، إنها كأس الموت فمن شربها ونام لايستفيق ، لقد شربت أنت هذا الرحيق فسكرت ونمت نوماً لايقظة بعده أما أنا فعلى عتبة بابك ذاتها انشد رثاءك .

في عينيك تشع وداعة الحمل واشواق الارنب وألم الغزال ،عيناك تهبان الفرح وتوزعانه على كل العيون ، إن نورهما كنور القيامة ينتقل

من شمعة الى شمعة . كل دمعة من عينيك ماسة إذا أدخلت في خيط شكلت عقداً تطوق به الاعناق. إني أرى عينيك مطبقتين ولكن عينيك لا تريانني ، وعلى عتبة بابك ذاتها انشد رثاءك.

فمك طري كبلحة ناضجة فوق الغصن . فمك كرزة معلقة في أشجار الكرز. إن البلبل يغني في السنة شهرين ثم يصمت. أما نشيدك فصيفاً شتاءً ، في الحصاد وعلى البيادر في الصيف ، في حلقات الرقص وفي المهرجانات وفي البيت وعند حلب المواشي . فمك عش للأغاني ، فمك عرش القهقهات ، لقد ماتت قهقهاتك وتاهت أغانيك وانا على عتبة بابك ذاتها انشد رثاءك .

يدك التي قدمت لي وأنا اعبر مسرعاً ماءً بارداً من النبع ، يدك التي قدمت لي اللبن ، يدك التي قدمت لي خبزاً ساخناً مصنوعاً من قمحكم وتيناً مقطوفاً من شجر تينكم ، يدك التي صنعت من المرمر ، واصابعك التي حيكت من النرجس ، يدك التي لم تسودها الشمس ولم يثلمها العمل . إن خاتمك يظهر كأنه من الماس ، وأساورك النحاسية صارت ذهباً في معصمك . لقد تصلبت يداك ونامتا وانا على عتبة بابك ذاتها أنشد رثاءك .

من رآك تغسلين على حافة النهر أيتها الفتاة ذات القوام الجميل ؟ من رآك ولم ينعقد لسانه ولم يخسر نوره ؟ من رآك حاسرة الرأس ، عارية الظهر محلولة الدثار ، بقامتك البانية وشعرك المحلول وبقدميك البيضاويتين اللماعتين في مياه النهر وبيدك الشبيهتين بالزبد يا ابنة الماء ولم ينعقد لسانه ويضيع نوره؟ لقد رأيتك فسكت خوفاً من ان ينعقد لساني، واغمضت عيني خوفاً من ان اضيع نوري . لم أقل لك شيئاً ولم تعلمي شيئاً، ولكني الآن أقول لك ذلك في رثائي، اقول الشيء الذي لم تسمعيه .

إن الذين فقدوك يحنون اليك والذين أضاعوك يطلبونك ، يحن اليك الحبق العطشان في المزاهر ،والمعول الملقى في زاوية الدار،والنعجة المهملة المربوطة في قرنيها ، تحن اليك النعاج منتظرة راعيها،والكلاب الجائعة المنتظرة خبزاً لتأكل، يحن اليك الجيران، يحنون الى خروجك من الباب ، تحن اليك الكنيسة الرابضة فوق الجبل لتوقدين سراجها. أواه . كل شيء يحن اليك ،وانت في نومك تغطين،والمصابيح مطفأة والباب مقفل ، اما انا فواقف امام بابك ذاته انشد رثاءك .

ماذا كان ينقصك حتى ذهبت بعيداً ، الى البلاد الخداعة ؟ألتطلبي الخيرات هناك ، في المدينة حيث الغنى . هناك بعيداً عن قريتك والقرى المجاورة ، بعيداً عن خاصتك ، بين الغرباء في بلاد غريبة لتأكلي خبزاً

تشترينه بالمال، وتشربي ماءً ساخناً ، وتتنشقي هواءً ملوثاً وتربحي فقط اسم السيدة؟ فأنت يا ادغال الجبال! كيف تستطيعين ان تزهري في المزاهر؟ وكيف تستطيع ان تعيش في القفص يمامة الغاب ؟ لقد اذبلت جمالك وسممت شبابك ولكن الموت جاء وخلصك رحمة بك وانا حملتك واعدتك الى بيتك الابوي ، وعلى عتبة بابك ذاتها انشدتك مراثي .

* * *

الفهرس

	رقم الصفحة
تمهيد	٣
المقدمة	١٧
بالماس	٢٩
مولد النرجسة	٣٢
اغنية المجنون	٣٥
الميت	٣٨
نبوة	٣٩
من القبر	٤١
الوردة العطرة	٤١
مرارة	٤٢
اصوات	٤٣
الاغنية العارية	٤٥
منارة المقبرة	٤٧
الشاعر	٥٠
رثاء	٥١
كلمات كريسنا	٥١
الخيال	٥١
رثاء	٥٢
القيثارة	٥٣
ظلال الجبابرة	٥٣
الى مائته	٥٤
نشيد الاولمب	٥٥
اثينا	٥٥
نشيد	٥٦
ديكسيليون	٦١
اريس الجديد	٦٣
درو سينس	٦٦
قايين وهابيل	٦٨
النبع	٧٠
أمي	٧١
الى بالماس	٧٢
رحيلها	٧٣
حنين	٧٥
فالاروتيس	٧٦
موجة وصخر	٧٨
أمي	٨٠

	رقم الصفحة
الناقوس	٨١
اماه	٨٦
الشقراء	٨٩
سولوموس	٩١
المقبرة	٩٣
الى راهبة	٩٥
الشقراء	٩٨
الموسيقى	٩٨
بوليمس	**١٠٠**
ابو الهول	١٠١
اغناطيوس	١٠٢
يهوذا	١٠٣
سمعان بطرس	١٠٤
ايروسترا ثوس	١٠٤
قطانوس	١٠٦
ايسو قراطيس	١٠٧
اعمى الانجيل	١٠٧
بورفيراس	**١١١**
الكنيسة المقفرة	١١٣
الى كل شيء يزول	١١٣
سفر	١١٤
دموع	١١٥
الام	١١٥
ظلال عابرة	١٢١
الدار القديمة	١٢٢
بروفليخيوس	**١٢٣**
اغاني الغربة	١٢٤
روح الشاعر	١٢٥
مشهد طبيعي	١٢٦
ارملة الملاح	١٢٧
وداع الام	١٢٨
الى اختها	١٣٠
عودة الملاح	١٣١
بابا انطونيو	**١٣٣**
صلاة	١٣٥
ليلة الميلاد	١٣٦
اليه	١٣٨
زهرة	١٣٩
الرحيل	١٤٠
الى سيدة الملائكة	١٤٢
السيمفونية التاسعة	١٤٤
مزامير	١٤٦
اودانيس	**١٤٧**
اليونان	١٤٨
صلاة من اجل المعذبين	١٤٩
المائتة الحية	١٥٠
حب	١٥١
أمنية	١٥٢

	رقم الصفحة
أحلام	١٥٢
كريازيس	١٥٤
اغاني الغربة	١٥٥
تطريز المنديل	١٥٧
كالفوس	١٦٠
الى ميت	١٦٢
الاقيانوس	١٦٥
وطني	١٦٧
زالوكوستا	١٦٩
الشاعر	١٧٠
الى القمر	١٧١
الى نفسي الراحلة	١٧٢
رحيلها	١٧٣
المجدلية	١٧٣
أراكِ	١٧٦
أحبها	١٧٧
بيتك	١٧٨
الرزاز الاول	١٧٨
عودة	١٧٩
كفّاها	١٨٠
ذكرى	١٨٠
مريضة	١٨٠
عندما تقبلين	١٨١
تذكارات شتائية	١٨١
رثاء الجميلة	١٨٢

مطابع فتى العرب

صمم الغلاف : هشام زمريق

ثمن النسخة ٢٥٠ ق.س

او ما يعادلها

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072570078